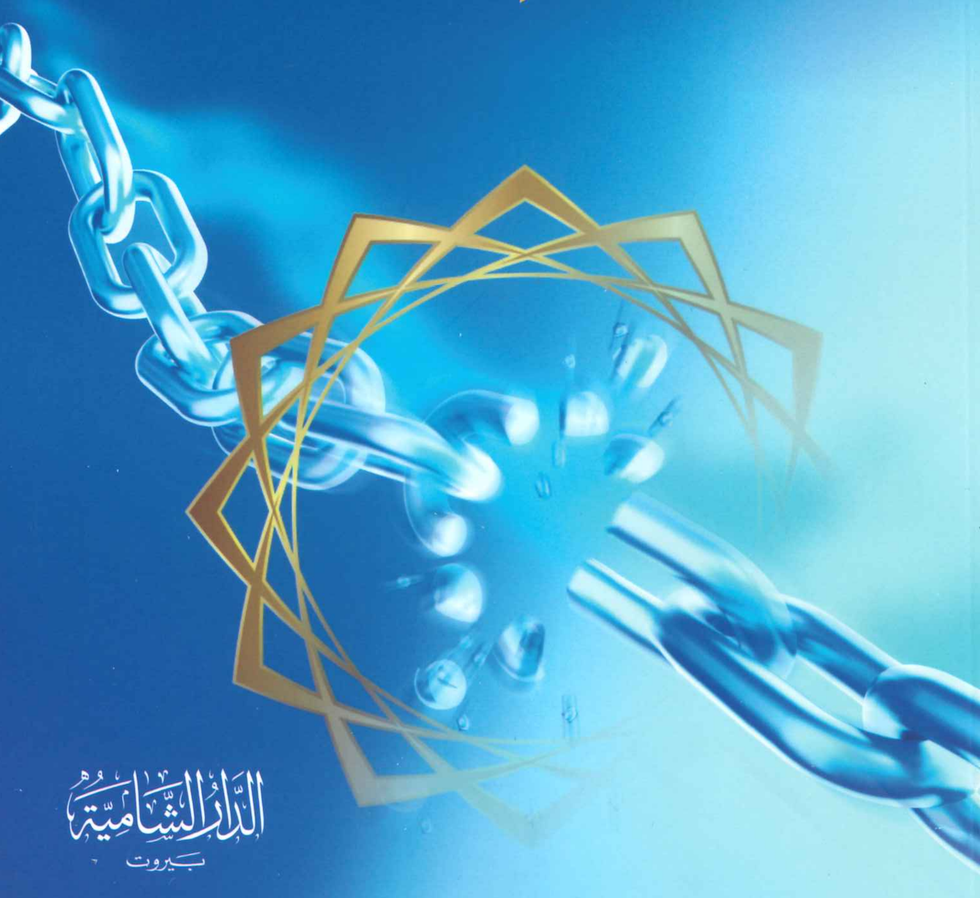
الدكتور صلاح عبد الفتاح الخالدي

ثوابت للمسلم المعاصر



الدار الشامية
بيروت

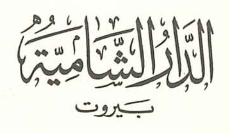
ثوابت

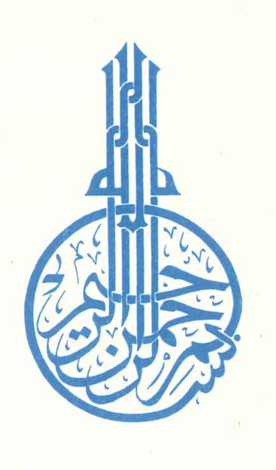
للمسلم المعاصر

الطبعة الأولى
١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م

ثوابت للمسلم المعاصر

الدكتور صلاح عبد الفتاح الخالدي




بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة



إن الحمد لله، نحمدُه ونستعينُه ونستهديه، ونعوذُ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئاتِ أعمالنا.

من يهدِ الله فلا مضلَّ له، ومَنْ يُضللْ فلا هادي له.

وأشهد أن لا إلٰه إلا الله، وحدَه لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبدُه ورسوله، صلوات الله وسلامه عليه.

أمَّا بعد:

فإنَّ المسلمين في هذا العصر - وخاصة الشبان المثقفين منهم - بحاجةٍ ماسَّةٍ إلى توثيقِ صلتهم بربِّهم، وبإسلامهم، وبقرآنهم، بحاجةٍ إلى تَذْكيرهم المستمرِّ بأنفسهم، وبأهدافهم، وبوسائلهم، وتعريفِهم على واجبهم تجاه أنفسهم، وتجاه إخوانهم المسلمين، وتجاه البشرية القلقةِ الضائعةِ المعذَّبة التي تنظرُ إليهم، وتنتظرُ ما عندهم من علاج.

إنَّ هـؤلاء المسلمين المعاصريـن بحاجةٍ ماسّـة إلى تعريفهم على الأُسس التي يوجِدونها، والمرتكزات التي يقيمونها، والمنطلقاتِ التي ينطلقون منها، والبواعثِ التي يتحرَّكـون مـن خلالهـا، و(الثوابتِ) التـي يلحظونها ويسـتحضرونها، ويصْدُرون عنها فـي كل لحظةٍ من الليل والنهار، وفي كل لفظةٍ في ليلٍ أو نهار، وفي كلّ خطوةٍ من ليل أو نهار، وفي كلّ خاطرةٍ أو هاجسٍ في ليل أو نهار.

إنهم بحاجةٍ ماسَّـة لمعرفةِ هذه (الثوابت) واسـتمرار تذكُّرها، ودوام استحضارها، لما يوجِّهُه أعداءُ الإسلام في أسـاليبهم المختلفة لإزالة هـذه (الثوابت) مـن تصوُّر المسلمين، أو زعزعةِ ثقتهم بها.

وهم بحاجة ماسّـة لمعرفـةِ هذه (الثوابـت) لضمانِ قيامهم بالواجب الذي كلَّفهـم الله به، ولأداءِ ما ينتظرُهم من مهامَّ عظيمةٍ، وأعمالٍ جليلة، فإن المستقبلَ للإسلام، الذي سينقذُ البشرية مما هي فيه الآن!.

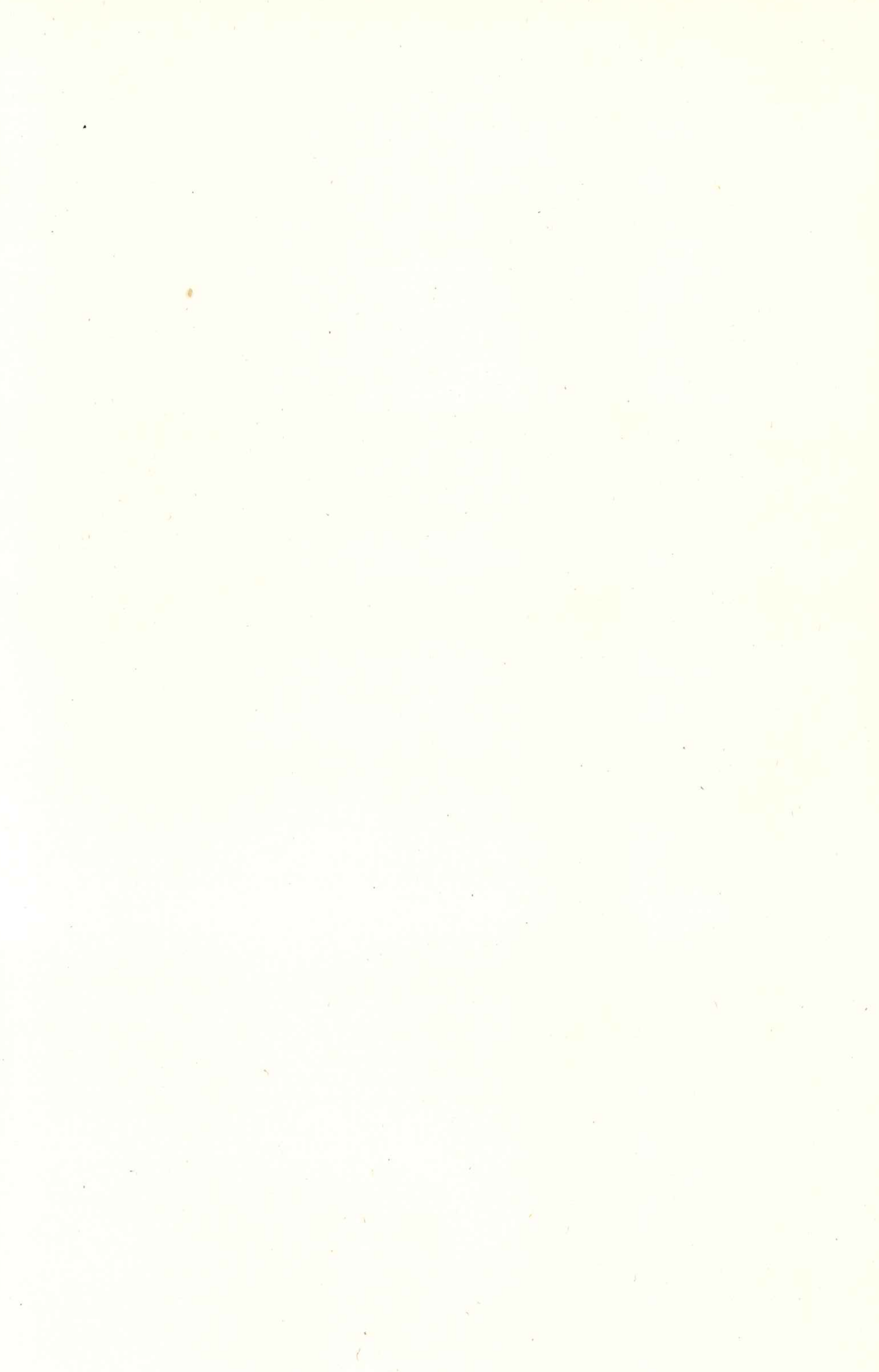
وإنني أقدمُ هذه (الثوابت) قيامًـا منّي بالواجبِ الذي أوجبه الله عليَّ، وتذكيرًا للشباب المسلمين الثابتين على دينهم، وتعريفًـا للآخرين بهذه الثوابـت للإقبال عليها، والالتزامِ بها، والصدور عنها.

فإنْ أفلحتُ في ما قدَّمْتُ فذلك فضْلُ الله عليَّ، فله الحمد والشكر، وإن كانت الأخرى فحسبي أنني حاولْتُ، وما أُريدُ إلّا الإصلاحَ ما استطعتُ، وما توفيقي إلّا بالله، عليه توكلتُ وإليه أنيب.

وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.

الدكتور صلاح عبد الفتاح الخالدي

١٢/٧/١٩٨٩م



١

الثوابت في عصرنا المتغيِّر

• عصرُنا عصرُ التغيُّر والتطوُّر:

من أهم سـماتِ العصر الحديث ـ الـذي أُقصي فيه الإسـلامُ عن الحكـم والقيادة، وقـادَتْ فيـه الجاهليةُ البشريةَ ـ أنه عصْرُ (**التغيُّر الدائم والتطوُّر المطلق**).

لقد أطلق الفلاسفةُ والمفكرون هناك ـ في بلاد الغرب ـ دعواتٍ عالية، دعوا فيها الناسَ إلى الثورة، الثورةِ على كلِّ ثابت، ومحاربةِ ما تعارَفوا عليه من الثوابت.. وكانوا يقصدونَ من ذلك الثورةَ على (**الدين الكَنَسيّ النصراني**) بسـبب الصراع العنيف المرير الذي جـرى بينهم وبين الكنيسـة، والـذي أدّى إلـى انتصارهم على الكنيسـة، وإقصائها عن القيـادةِ والتوجيه، والكفر بمـا تقدِّمُه من أفكارٍ وتصورات.

لقدْ ثاروا هُناك على كلّ شـيءٍ ثابـت، فقاموا بتغيير

تلك الثوابت التي عاشها أجدادُهم قرونًا، والتي تواضعت البشريةُ على اعتبارِها في سيرتها الحياتية عبر القرون.

غيَّروا الروابطَ والصِّلات، وغيَّروا الفضائلَ والأخلاق، وغيَّروا الآداب والسلوكيات.. حذفوا من (**قاموسهم الحياتي**) مصطلحات: العفّةِ والعيب، والحلالِ والحرام، والطهارةِ والرفعة.. وبذلك انفلتوا من القيود والضوابط، وتحوَّلتْ مجتمعاتُهم إلى (**ماخورٍ**) كبير، يمارسونَ فيه شهواتِهم ومجونَهم بحيوانيةٍ مرذولة، تتعفّفُ عنها حيواناتُ الغابة!.

وأدّى (**انفلاتُ**) الضوابط والقيود عندهم، وزعْمُ (**التغيُّر والتطوُّر**) الذي اعتقدوه، إلى أنْ أصبحتْ حياتُهم عجيبةً غريبة، ينظرُ لها المسلمُ البصير، فيعجب منهم، ويأْسى لهم، ويُشفقُ عليهم، ويرثي لحالِهم، وينطقُ بصوت مشفق: «**يا حسرةً على العباد!**».

• صورة فنية ساخرة يرسمها سيد قطب للبشرية المنفلتة:

وأُقَدِّم هذه الصورة الفنّية الساخرة التي رسمها للبشرية المنفلتة في بلاد الغرب، المصوِّر المبدعُ الشهيدُ سيد قطب عليه رحمة الله:

«لقد تركت البشريةُ الأصلَ الثابت، وأفلتَ زِمامُها من كلِّ ما يشدُّها إلى محور، وأصبحتْ أشبهَ بجرمٍ فلكيّ خرجَ عن مدارِه، وفارقَ محورَه الذي يدورُ عليه في هذا المدار، ويوشكُ أن يصطدمَ فيدمِّر نفسه، ويصيبَ الكون كلَّه بالدمار: ﴿وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ﴾ [المؤمنون: ٧١].

والعاقلُ (الواعي) الذي لمْ يأخذْهُ الدُّوار الذي يأخذُ البشرية اليوم، حين ينظرُ إلى هذه البشريةِ المنكودة، يراها تتخبطُ في تصوراتها، وأنظمتها، وأوضاعها، وتقاليدها، وعاداتها، وحركاتها كلِّها، تخبُّطًا منكرًا شنيعًا.. يراها تخلعُ ثيابَها وتُمزِّقُها كالمهووس! وتتشنَّجُ في حركاتها وتتخبَّطُ وتتلَبَّطُ كالممسوس.. يراها تغيِّرُ أزياءَها في الفكر والاعتقاد، كما تغيِّر أزياءَها في الملابس، وفْقَ أهواءِ بيوتِ الأزياء! يراها تصرخُ من الألم، وتجري كالمطاردِ، وتضحكُ كالمجنون، وتُعربدُ كالسِّكِّيْر، وتبحثُ عن لا شيء! وتجري وراء أخيلة، وتقذفُ بأثمنِ ما تملك، وتحتضنُ أقذرَ ما تُمسكُ به يَداها منْ أحجارٍ وأوْضار! لَعنة! لعنة كالتي تتحدَّثُ عنها الأساطير!.

إنها تقتلُ (الإنسانَ) وتحوِّلُه إلى آلة.. لتضاعِفَ الإنتاج.

إنها تقضي على (**مقوّماتِه الإنسانية**) وعلى إحساسِه بالجَمال والخُلقُ والمعاني السامية، لتحقيقِ الربح لعددٍ قليل من المرابين وتجار الشهوات، ومُنتجي الأفلام السينمائية وبيوت الأزياء!.

وتنظرُ إلى وجوهِ الناس، ونظراتهم، وحركاتهم، وأزيائهم، وأفكارهم، وآرائِهم، ودعواتِهم.. فيخيلُ إليكَ أنهم هاربون! مطارَدون! لا يلْوُون على شيء، ولا يتثبَّتون من شيء! ولا يتريَّثون ليرَوْا شيئًا ما رؤيةً واضحةً صحيحة.. وهم هاربونَ فعلًا! هاربونَ من نفوسهم التي بين جنوبهم! هاربون من نفوسهم الجائعةِ القلقةِ الحائرة، التي لا تستقرُّ على (**ثابت**)، ولا تدورُ على محورٍ ثابت، ولا تتحركُ في إطارٍ ثابت.. والنفسُ البشرية لا تستطيعُ أن تعيش وحدَها شاذةً عن نظام الكون كله.. ولا تملكُ أن تَسعدَ وهي هكذا شاردةٌ تائهة، لا تطمئنُّ إلى دليلٍ هاد، ولا تستقرُّ على قرارٍ مُريح!»[1].

(١) خصائص التصور الإسلامي، لسيد قطب، ص ٩١ ـ ٩٢.

• سرُّ انحرافِهم وضياعِهم: اتباعُ الهوى:

قلنا: إنهم هناك منحرفون ضائعون، عندما (غيَّروا) كلَّ ثابت، وثاروا على كلِّ أصْل، وفعلوا ذلك لأنهم كانوا هاربين، هاربين من الله، هاربين من الدين، هاربين من النصرانية، هاربين من الكنيسة، كانوا هاربين من نفوسهم وأرواحهم وإنسانيتهم.

وسِرُّ انحرافِهم وضياعِهم هو اتباعُهم أهواءَهم، لقد كانوا متبعين الهوى، وأساسُ المصائب هو اتباعُ الهوى، وسببُ الضياع هو اتباع الهوى، فأُسُّ البلاء هو اتباعُ الهوى، والفسادُ نتيجةٌ لازمة لاتباع الهوى.

قال تعالى: ﴿ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ ﴾ [المؤمنون: ٧١].

وقال تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [الجاثية: ٢٣].

وقال تعالى: ﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [القصص: ٥٠].

وقال تعالى: ﴿ قُلْ أَنَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ ﴾ [الأنعام: ٧١].

• محاربةُ (الثوابت) في بلاد المسلمين:

وصلتْ دعاوى التغيُّر الدائمِ والتطوُّر المطلق إلى بلاد المسلمين، وأصابتْ عَدواها الوبيئة كثيرًا من المثقفين من أبناء المسلمين، فتبنَّوْا تلك الدعاوى والأفكار الجاهلية، ولم يملكوا (بصائر قرآنيةً) هادية، وعقولًا إسْلاميّةً واعية، فلم يقفوا على ضياعِ الغربيّين المتطوِّرين الثائرين على الثوابت، ولم يعتبروا بما أصابهم.

وشنَّ أبناءُ المسلمين، المرضى بعدوى (**التغيّر الدائم والتطور المطلق**)، حربًا شرسةً على (**الثوابت**) الأصيلة، التي يقدِّمها الإسلامُ لأبنائه، ودعوا المسلمين - وخاصة الشبانَ المثقفين منهم - إلى تبني مبادئهم وأفكارهم، وإلى محاربةِ كل (**ثابت**).. صوَّروا لهم (**الإسلامَ**) بأنه دينُ الرجعية والجمودِ والتحجُّر، وصوَّروا حقائقه الثابتة بأنها المعوِّق لكلِّ تقدُّم ورقيّ، وصوَّروا دعاةَ الإسلام - أنصارَ الثوابت الإسلامية - بصورة المتأخرين الرجعيين المتخلّفين المتقوقِعين، أعداءِ التقدم والرقي، ودعاةِ الجهل والانغلاق.

واستخدم هؤلاء وسائلَ وأساليب شتى لإقناعِ أبناء المسلمين بأفكارهم، ونشر دعواتهم ومبادئِهم بينهم، ولم يتركوا وسيلةً إعلامية، أو منبرًا ثقافيًا، وبذلك تجمعت لهم عدةُ وسائل وأساليب، ووُضعتْ بين أيديهم شتى الإمكانات والألوان.. استخدموا الكتابَ والقصة والقصيدة والرواية والمسرحية، استخدموا المجلة والجريدة، والمنشور والنشرة، استخدموا المحاضرة والندوة، والخطبة والحوار، استخدموا الإذاعة والتلفاز، والشريط والفيديو، استخدموا السينما والمسرح، والملهى والملعب، والدعاية والإعلان.

وهجم هؤلاء الثائرونَ على الثوابت، بهذا الجيش الكثيف من وسائل الإعلام، على أبناء المسلمين، وغزوهم غَزوًا فكريًا مُرَكَّزًا، ووجهوا حربهم على عقيدة المسلمين وتصوُّرهم، وعلى قيمهم وأخلاقهم، وعلى صلاتهم وارتباطاتهم، وعلى كل جوانبِ ومجالاتِ حياتهم، ودَعَوْهم إلى تغيير كل ثابت، والثورة على كل ثابت، والخروج على كل ثابت، لأنهم في عصرِ التطور، لا في عصر الظلمِ والجهلِ والتأخُّرِ والانحطاط الذي عاشَه أجدادهم.



• أسباب الاستجابة لتلك الدعوات:

استجاب كثيرون من أبناء المسلمين - الشباب والمثقفين - لتلك الدعوات، وصدَّقوا تلك الإشاعات، واعتنقوا تلك (**الإسرائيليات!**)وثاروا، ثاروا على كلّ ما دعاهُم المغرِضون إلى الثورة عليه، ثاروا على (**الثوابت**) الأساسية، التي ورثوها عن أجدادِهم العظام، وسلفهم الكرام، وأخذوها عن دينهم وإسلامهم وقرآنهم.

ووقع هؤلاء صَرعى الغزو الفكري المنظَّم، وعاشوا حيرةً أليمة، وضياعًا قاتلًا، وصَدق في هؤلاء قول الله تعالى: ﴿قُلْ أَنَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَـٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَـٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۖ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ۝ وَأَنْ أَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّقُوهُ﴾ [الأنعام: ٧١ - ٧٢].

وإذا توقفنا لحظة، لنعرفَ أسبابَ استجابةِ هؤلاء لتلك الدعوات، ولنتعرفَ على كيفيةِ انتقالِ الدعوات الجاهليةِ الانحرافيةِ إليهم، فإننا سنقفُ على هذه الأسباب:

١ - **جهلُ أبناء المسلمين بإسلامهم وبدينهم** - والجاهلُ عدو نفسه، ومَنْ جهلَ شيئًا عاداه - وعدمُ معرفتهم

للثوابت الإسـلامية، التي ينطلقـون منها، وبذلك فقدوا (الأرضية) الثابتةَ الصلبة التي يقفون عليها.

٢ ـ **الفراغُ الروحيُّ، والقلقُ النفسي، والإفلاسُ الإيماني**، الذي عاشـه هؤلاء، فَقادَهُمْ إلى الأفـكار الغربية، وأوصلهم إلى نتيجتها الحتمية.

٣ ـ **عدمُ** (تحصيـن) أرواح ونفوسِ هؤلاء أمـامَ الغزو الفكري الغربي المدمّر، بـل فتحُ قلوبهم وعقولهم أمام جراثيم وميكروبات العـدوى الوبائية القادمة، فدخلت تلك الميكروباتُ إلى نفوسهم، واستقرتْ في قلوبهم وعقولهم وأدمغتهم، وعملتْ في كيانهم نقضًا وتدميرًا وإفناءً.

٤ ـ **(الطابورُ الخامس) من المضلليـن**، أدوات الغزو الفكري، الذين استخدمهم أسـاتذتهم من شياطين الإنس ودهاقين الكفر.

٥ ـ **تمكينُ أولئك (الطابـور الخامس)** ـ أعداء الثوابت الإسلامية ـ **من مختلف الوسائل الإعلامية**، وفتحها لهـم، وجعْلُها بيـن أيديهـم، وتوظيـفُ الأموال والمختـرعـاتِ والأدواتِ والعقـول والمواهـب والأفكار لخدمة هؤلاء في غـزو العقول والقلوب،

فصار أبناءُ المسلمين يعيشون ذلك الغزو وأدواته وجنودَه في كلّ لحظةٍ من ليل أو نهار.

٦ ـ **انفتاحُ المسلمين على ثقافةِ الغرب وحضارته،** والإعجابُ بعلومه ومعارفه، والانخداعُ بأفكاره ومبادئه وآرائه، و(**العبُّ**) منها دون حساب، والأخذُ منها دون ضابط ولا ميزان.

٧ ـ **إقصاءُ الإسلام عن دفةِ الحكم والتوجيه والتأثير، و(حشْرُهُ) في زوايا المساجد، وقوانين الأحوال الشخصية،** وإغلاقُ مجالاتِ حياة المسلمين ومرافقها ومظاهرها أمامه، وتحريمُ تدخُّلِه في الحياة السياسية أو الاقتصادية أو الثقافية أو العسكرية أو الفنية للمسلمين.

وبذلك غابتْ عن أبناء المسلمين (**الصورةُ الإسلاميةُ العملية**)، والنموذجُ الحي للأحكام الشرعية، والجوُّ الواقعيُّ الذي تعيشُ فيه حقائق الإسلام ومبادؤه وأسسُه وقيمُه ومفاهيمه.

٨ ـ **محاربةُ دعاةِ الإسلام ورجاله وجنودِه** ـ أنصارِ الثوابت الأصيلة ـ والحيلولةُ بينهم وبين التأثير في عقولِ وقلوبِ المسلمين، وإغلاقُ منافذِ التوجيه، ومنابرِ التأثير، وأدواتِ الاتصال، في وجوههم!.

• **مسلمو اليوم أسوأُ نموذجٍ عبر التاريخ:**

ماذا نتج عن ذلـك الغزو؟ مَن نحن؟ مـا هو (**واقعنا المعاصر**)[١]؟ لنكنْ صرحاءَ مع أنفسـنا، فإننا في زمانٍ لا بدَّ فيه من أن نكونَ صرحاء مع أنفسنا على الأقل، وأشنعُ صور الكذب أن نكذّب على أنفسنا!.

نتج عن تلك الحرب الشرسةِ ضدَّ (**الثوابت الإسلامية**) النتيجةُ المنطقية، والنهايةُ الطبيعية..

أضعنا ثوابتنا، وفقدنا هويتنا، ومزَّقنا تميُّزنا؛ فلا نحنُ مسـلمون حقًّا، ولا نحن كافـرون حقًّا! فقدْنـا اتصالنا بأسـلافنا وأجدادنا، ورفضَنا الغربيون ولـم يعترفوا بنا، فَضِعْنا في متاهاتٍ مضلَّة.

إن (**واقعنا المعاصر**) ليس واقعًا إسلاميًّا ربانيًّا، كما أنه ليس واقعًا غربيًّا صرفًا.

إنني كثيرًا ما أتساءل: أتـرى لو أنَّ محمـدًا ـ عليه الصلاة والسـلام ـ بُعثَ حيًّا، وأتى إلى بلاد المسلمين،

---

(١) عنوان كتاب قيم للمفكر الأستاذ محمد قطب، صدر حديثًا، ننصح بقراءته.



وعاش واقعَهم المعاصر، فكمْ سيقبلُ من أوضاعهم ونُظُمهم وتشريعاتهم وقيمهم وعاداتهم؟ وكم سيرفضُ من هذه المظاهر والألوان؟ ماذا سيكونُ شعورُه ـ عليه الصلاة والسلام ـ لو (تجوَّلَ) في واقعِ المسلمين المعاصر، ودخل إلى مؤسساتهم ومراكزهم ومرافقهم وكياناتهم وبيوتهم؟.

إنه لن يعترفَ بمعظم هذا الواقع البائس الذي يعيشُه المسلمون اليوم! ولن يرضى بحياتهم، ولن يُقرَّ مناهجهم، وسيقولُ: «سُحقًا سُحقًا لمن غيَّر بعدي» لأنه سيعلمُ أنهم ما زالوا مرتدِّين متقهقرين.

وعندها ماذا سيقولون عنه؟ ألن يتهموه بالأصولية والتطرف وغيرها من التُّهم الموجَّهة لدعاة الإسلام الآن!.

من نحن؟..

لنكن صرحاء: إنَّ مسلمي هذا الزمان هم أسوأُ نموذجٍ للمسلمين عبْرَ التاريخ الإسلامي، لقد فقدَ معظمُ المسلمين الثوابتَ الإسلامية، فعاشوا واقعًا غريبًا، ابتعدُوا عن الإسلام في كلِّ شيء: في الدين، والقيم، والأخلاق، والسلوك، في الأهداف، والوسائل، في السياسة، والحكم، والاقتصاد، والعلم، والعمل.



• لا يأس، فالمسلمون قادمون:

هذه الصورة المرسومة لواقعنا المعاصر لم نكُنْ مبالغين ولا مُغالين في الإشارة إليها، فهي واضحةٌ لكلِّ ذي عينين نافذتَيْن.

ولكننا ـ من باب الإنصاف والمنهجية ـ يجب أن نشير إلى حقيقة عظيمة مبشِّرة: يوجد في بلاد المسلمين ومجتمعاتهم كثيرٌ من المسلمين الصادِقين، الملتزمين المخلصين، العامِلين الثابتين، وهم (يتوزَّعون) قطاعاتٍ كثيرةً بين المسلمين، بين الرجال والنساء، والشباب والشابات، والطلاب والطالبات، وهم يعيشون إسلامهم، ويلتزمون به، ويدعون إليه، ويُصمِّمون على عودته إلى واقع الحياة من جديد.. وهؤلاء يتضاعفون ويزدادون، ولله الحمد.

إنهم أملُ الأمة، وعمادُ المستقبل، ودعاةُ الإنقاذ للبشرية جمعاء، وعلى أيديهم سيتمُّ النصرُ بإذن الله، وسيتحقَّقُ التغيير، وستنجلي الغُمَّة، وتتلاشى الغاشية، ويتبدَّدُ الظلام، وسينبثقُ النور بإذن الله من وسط الظلام، ويظهرُ الأمل من وسطِ المحنة.. هذا وعْدُ الله، ولن يخلف الله وعده.

عَلَّمَنَا إسـلامنا أن لا نيئـس مما عنـد الله، وأنْ نثق بمواعيد الله:

﴿وَلَا تَاْيْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧].

﴿قَالُوا۟ بَشَّرْنَـٰكَ بِٱلْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْقَـٰنِطِينَ ۝ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾ [الحجر: ٥٥ ـ ٥٦].

﴿فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكَ ۚ لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾ [يونس: ٩٤].

عَلَّمَنا رسولُنا ﷺ الأملَ والثقة.

وتعلمْنا أن (**المسـتقبل لهـذا الدين**)، وأنَّ الإسـلامَ سـيعود إلى ما كان عليه من حكمٍ وتوجيـهٍ وقيادة، وأن المسـلمين قادمون، وأنَّ البشـرية المعذبة القلقة ستفيءُ إلى هذا الإسلام بإذن الله.

لكننا لا بدَّ أن نقرنَ الأمل بالعمل، والانتظارَ بالحركة، وأن نقـومَ بواجبنا فـي تعجيلِ قـدومِ ذلـك الموعودِ الإسلامي الكريم.

* * *

٢

الثبات والحركة في التصوُّر الإسلامي

هناك تناسقٌ وتوازُنٌ بين الثبات والحركةِ في التصور الإسلامي، فليست الأمورُ كلُّها متغيِّرةً متطوّرة، كما أنها ليست كلها ثابتةً واقفة.

وقد تكلَّم المفكِّرُ الرائد سيد قطب عن التوازُنِ بين الثبات والحركة في فصْلِ «الثبات» في كتابه «خصائص التصور الإسلامي» حيث اعتبر هذا الثبات خصيصةً من أهمِّ خصائص التصور الإسلامي، وسمةً بارزةً واضحةً من سِماته.

كما خصَّصَ شقيقُه المفكرُ محمد قطب كتابًا لهذا الموضوع، لاحظَ فيه التناسقَ والتوازنَ بين الثباتِ والحركةِ، وهو كتابُ «التطور والثبات في حياة البشرية».

ونُحيلُ القارئ على كلام الشقيقين المفكرَيْن لجودته ونفاسته وأهميته.

وخلاصةُ التناسق والتوازن بين الثبات والتغيُّر في التصور الإسلامي كما قدَّمها سيد قطب في الفصل المذكور، هي في هذه العبارة: «الحركةُ داخل إطار ثابت، حوْلَ محورٍ ثابت».

ولما شرح سيد قطب هذه العبارة قال: «هناك (ثباتٌ) في (مقومات) هذا التصوُّر الأساسية، و(قيمه) الذاتية؛ فهي لا تتغيَّرُ ولا تتطور؛ حينما تتغيَّرُ (ظواهرُ) الحياة الواقعية، و(أشكالُ) الأوضاع العملية.. فهذا التغيُّر في ظواهر الحياة وأشكالِ الأوضاع، يظلُّ محكومًا بالمقوِّماتِ والقيم الثابتة لهذا التصور..

ولا يقتضي هذا (تجميدَ) حركة الفكر والحياة، ولكنه يقتضي السماحَ لها بالحركة، بل دفعها إلى الحركة، ولكن داخلَ هذا الإطار الثابت، وحول هذا المحور الثابت...»[1].

ويوحي بهذا الثبات الأصيل في التصور الإسلامي قولُه تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ

(١) خصائص التصور الإسلامي، ص ٨٥.

أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [الروم: ٣٠ ـ ٣١].

• في الحقائق الثابتة في التصور الإسلامي:

سنأخذُ من كتاب «خصائص التصور الإسلامي» نماذجَ من الحقائق الثابتةِ في هذا التصور، ونكتفي بذكرها، ونحيلُ على بيانِ سيد قطب لها في الفصل المذكور:

١ ـ كلُّ ما يتعلقُ بالذاتِ الإلٰهية العليَّة، من وجودٍ وأسماءٍ وصفات، وأفعالٍ في الكونِ والحياةِ والإنسان، وفي الدنيا والآخرة.

٢ ـ الكونُ ـ وما فيه ـ مخلوق، وليس فيه خالق، لأنه لا خالقَ إلا الله.

٣ ـ عبوديةُ كلِّ المخلوقين لله، من جماداتٍ وأحياء، وبخاصةٍ الملائكة والجن والإنس.

٤ ـ الإيمانُ ـ بأركانه ـ شرطُ قبول الأعمال عند الله، وشرطُ النجاةِ من النار ودخولِ الجنة يوم القيامة.

٥ ـ الإسلامُ هو خاتمُ الأديان والرسالات، ولا يَقبلُ الله من الناس دينًا غيره، فَمن ماتَ على غيرِ الإسلام فهو كافرٌ مخلَّدٌ في النار.

٦ ـ الإنســانُ هو الخليفةُ في هذه الأرض، وهو سيدُ ما فيها، وكلُّ ما في هذا الكون مسخَّرٌ لخدمته، مذلَّلٌ له، ما أعظمها منزلة، وأرفعَها كرامة، لهذا الإنسان!.

٧ ـ (الإنسانية) عند الإنســان، هي أهمُّ وأعلى قيمةٍ في هذا الوجود، لا تقاربُها أو تدانيها قيمةُ أيِّ مخلوق أو (شيءٍ) آخر، ماديٍّ أو معنوي.

٨ ـ النــاسُ جميعًا مــن أصــلٍ واحد، متســاوون في الإنســانية، لا يتفاضلون أو يتمايــزون بأية صورة مادية شكليّة، ولكنما بالتقوى فقط.

٩ ـ العبادةُ لله هــي وظيفةُ الإنســان في هــذه الحياة، ويجب أن تدخل في كل حركةٍ ولحظةٍ لهذا الإنسان من ليلٍ أو نهار.

١٠ ـ رابطةُ التجمع الوحيدةُ المقبولــةُ عند الله، واللائقةُ بإنسانية الإنســان هي العقيدةُ في الله، والأخوةُ في الله، والمحبةُ في الله.

١١ ـ الدنيا دارُ ابتلاء وعمل، والإنسان ممتحَنٌ مبتلًى في كل لحظةٍ فيها، والآخرةُ دارُ حسابٍ وجزاء، ويقرَّرُ مصيره هناك على عمله هنا[١].

(١) انظر: خصائص التصور الإسلامي، ص ٨٧ ـ ٩٠.

• أبرز مظهر للثبات في التصور الإسلامي:

يقدِّمُ التصورُ الإسـلاميُّ البشـريةَ في تاريخها الطويل كلِّه ـ ماضيه وحاضره ومسـتقبله ـ فـي حقيقةٍ ثابتة، لا تتغيَّر ولا تتبدَّل ولا تتحوَّل، بحيثُ اعتُبِرَتْ هذه الحقيقةُ التاريخية أبرز مظهرٍ للثبات في هذا التصور.

هذه الحقيقةُ التاريخيةُ الثابتةُ تقومُ على أسـاسٍ ثابت: «إن هناك حالتين اثنتين للحياةِ البشرية، ولا علاقةَ للزمان أو للمكان فـي تقديرِ قيمةِ هاتين الحالتيـن، إنما القيمةُ لذاتِ كلِّ حالة، ولوزنها في ميـزانِ الله الثابت، الذي لا يتأثرُ بالزمـان والمكان.. حالتان اثنتانِ تتعـاورانِ الحياةَ البشرية على مدى الزمانِ واختلاف المكان:

حالـةُ الهدى وحالـةُ الضـلال؛ مهما تنوعـتْ ألوانُ الضلال.

حالةُ الحق وحالةُ الباطل؛ مهما تنوعتْ ألوانُ الباطل.

حالةُ النور وحالة الظلام؛ مهما تنوعتْ ألوانُ الظلام.

حالة الشـريعة وحالةُ الهـوى؛ مهما تنوعـتْ ألوانُ الهوى.

حالةُ الإسـلام وحالةُ الجاهلية؛ مهمـا تنوعتْ ألوانُ الجاهلية.

حالةُ الإيمـان وحالةُ الكفـر؛ مهما تنوعـتْ ألوانُ الكفر.

إما أنْ يلتزم الناسُ الإسـلامَ دينًـا (أي: منهجاً للحياة ونظامًـا)، وإلا فهو الكفـرُ والجاهليةُ والهـوى والظلامُ والباطل والضلال.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ [آل عمران: ١٩].

وقال تعالـى: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾ [آل عمران: ٨٥].

وقال تعالى: ﴿ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ﴾ [يونس: ٣٢].

وقال تعالى: ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الجاثية: ١٨].

وقال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

وقال تعالـى: ﴿ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ﴾ [البقرة: ٢٥٧].

وقـال تعالـى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [المائدة: ٤٤].

وقال تعالى: ﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ [المائدة: ٥٠]»[١].

• في الثبات نجاة المسلمين:

للثبات أثرٌ بارزٌ في حياة المسلمين، فيه يعيشُ المسلمون بتناسقٍ وتوازنٍ في حياتهم، وبه يُنَسِّقون بين حركتهم وحركةِ الكون الثابت الذي يعيشون فيه، وبه يضبطون حركتهم من أن تنفلتَ عن إطارها، أو تخرج عن مدارها، وبه يرجعون إلى (**ميزان ثابت**) و(**مرجع دائم**)، يتحاكمون إليه عند التنازع والاختلاف، وبه يحفظون مجتمعهم من الهزّات والضياع والإلحاد، وبه يُمنحون الطمأنينة والحرية والعزة، وبه يمنعونَ التسلُّط والاستبداد، ويُحاربون الظلم والفساد.

إن في هذا (**الثبات**) نجاةَ المسلمين في الدنيا، وفوزهم في الآخرة.

لقد حفظ (**الثباتُ**) المجتمع الإسلامي ـ بفضل الله ـ من الهزات عبر التاريخ الإسلامي، فتجاوز المسلمون

(١) خصائص التصور الإسلامي، ص ١٠١.

الخلافات السياسية والفكرية والمذهبية بينهم، ولم تؤثر تلك الخلافاتُ في أسس الإسلام وحقائقه وخصائصه ومقوماته، واستعلى المسلمون على الفتنةِ المادية، لما أقبلتْ عليهم الدنيا وخيراتُها بعد الفتوحات الإسلامية، وواجهَ المسلمون الحضاراتِ الطاغية في البلدان المفتوحة، الحضارات اليونانية والرومانية والفارسية والهندية، وواجهوا الهجماتِ الصليبية الشرسة، والاجتياحَ المغولي المدمِّر، والغزو الاستعماريَّ المعاصر.

وبالثبات ينجح المسلمون المعاصرون في مواجهةِ أخطر غزوٍ لهم، وأكبر تحدٍّ أمامهم، وهو الثالوث العالمي المتآمر: اليهودية العالمية، والصليبية الحاقدة، والشيوعية الملحدة!.

* * *

٣

الثبات على الثوابت



• أزمتُنا أزمةُ ثوابت:

لا يشكُّ أحدٌ في أن المسلمين المعاصرين، يواجهون أخطر التحديات التي مرَّتْ بهم في تاريخهم كلِّه، حيث وقفوا أمام التحدي العالمي الكبير، والكيدِ العالمي الحاقد، والغزو الفكري الشرس، وأخطرُ ما في ذلك التحدي، وأشرسُ ما في ذلك الغزو، هو الخطرُ اليهودي الماحق.

لقد صدقَ رسولُ الله ﷺ في تصويره الخطر الذي يهدِّد هؤلاء المسلمين؛ وذلك في ما رواه أبو داود: عن ثوبان مولى رسول الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«يوشكُ الأممُ أنْ تداعى عليكم، كما تداعى الأَكَلَةُ إلى قَصعتها»**.

فقال قائل: ومن قلةٍ نحنُ يومَئذ؟.

قال: **«بل أنتم يومئذٍ كثير، ولكنكم غُثاءٌ كغُثاءِ السَّيل،**



وليَنزعنَّ اللهُ من صدورِ عدوِّكُم المهابةَ منكم، وليقذفَنَّ في قلوبكم الوَهْن».

فقال قائل: يا رسول الله، وما هو الوَهْن؟.

قال: «**حُبُّ الدنيا، وكراهيةُ الموت**»(١).

وفي هذا التحدي العالميِّ الكبير، والغزوِ الفكري الخطير، نجدُ رحى الإسلام ومواقِعه دائرة.

ونحن مطالَبون أن نكون مع الإسلام، في رحاه ومعاركه ومواقعه، وأن نثبت عليه، وأن ندور معه حيث دار.

وقد دلّنا رسول الله ﷺ على هذا الثابت الأساسي، وأوصانا فيه بوصية جامعة:

فقد روى **معاذ بن جبل** رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال: «**خذوا العطاء ما دام عطاء، فإذا صار رشوة على الدِّين فلا تأخذوه، فلا تأخذوه، ولستم بتاركيه، فيمنعكم من ذلك المخافة والفقر. ألا إنَّ رحى الإيمان دائرة، فدوروا مع الكتاب حيث يدور، ألا وإنَّ السلطان والكتاب**

(١) سنن أبي داود، كتاب الملاحم رقم (٣٦)، باب في تداعي الأمم على الإسلام رقم (٥)، حديث رقم (٤٢٩٧).

سيفترقان، ألا فلا تفارقوا الكتاب، ألا إنَّه سيكون عليكم أمراء، إن أطعتموهم أضلوكم، وإن عصيتموهم قتلوكم!».

قالوا: فكيف نصنع يا رسول الله؟.

قال: «**كما صنع أصحاب عيسى، حُملوا على الخُشُب ونُشروا بالمناشير! موت في طاعة الله، خير من حياة في معصية الله**»[1].

إننا لا نجتازُ هذه المرحلة، ولا نتجاوزُ هذه المحنة، ولا ننجحُ في هذا التحدي؛ إلا بالثوابت، بمعرفتها وملاحظتها ومعايشتها والثباتِ عليها والانطلاقِ منها.

وسوف نجتازُ هذه المحنةَ الخطيرة ـ بإذن الله ـ كما اجتاز أسلافنا المحن السابقة، وسيخرجُ الإسلام ـ بإذن الله ـ من هذه المحنة أصيلًا صافيًا ظافرًا منتصرًا، كما حصل في السابق!.

(١) رواه إسحاق؛ ورواه أحمد بن منيع. وقال البوصيري: رواة أحمد بن منيع ثقات. انظر: المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية، لابن حجر العسقلاني، تحقيق عبدالرحمن الأعظمي: ٢٦٧/٤ ـ ٢٦٨، حديث رقم (٤٤٠٨).

• من مزايا هذه الثوابت:

توفَّر للثوابت الإسلامية، ما لم يتوفَّرْ لغيرها من القواعد والأسس، ومن مزايا وسماتٍ وخصائص، وذلك بفضل التميّز والتفرّد الملحوظين في الدين الإسلامي العظيم.

من مزايا هذه الثوابت للمسلم المعاصر:

١ ـ أنَّها ثمرةٌ طيبةٌ لشجرةٍ مباركة:

إنها ثمرةٌ لشجرة الإيمان في قلبه وكيانه، ولذلك هي مرتبطةٌ بالإيمان عنده سلبًا وإيجابًا، فإذا قوي إيمانُه ترسختْ ثوابتُه، وإذا ضعفُ إيمانه وَهَتْ واهتزّتْ ثوابتُه.

قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ۞ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ۞ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ۞ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ﴾ [إبراهيم: ٢٤ ـ ٢٧].

٢ ـ أنَّها أصيلة:

حيث يستمدُّها المسلم من توجيهاتِ القرآن الكريم، وإرشاداتِ السُّنَّة الشريفة الصحيحة، ومن تطبيقِ

الرسـول ﷺ العمليِّ لها، ومن التـزامِ الصحابة الكرام، والعلماءِ الأعلام، والمصلحين العظام بها وثباتِهم عليها.

أيْ: إنَّ المسلم المعاصر ـ في التزامه بهذه الثوابت ـ متَّبعٌ وليس مبتدِعًا، مهتدٍ وليس ضالًّا ولا مضلًّا، يسير فيها على خُطا مَنْ سبقه، من الذين أنعمَ الله عليهم، من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحَسُن أولئك رفيقًا.

٣ ـ أنَّها ملزمةٌ لهذا المسلم:

بمعنى أنـه يجبُ عليـه ملاحظتها، والثبـات عليها، والالتزامُ بها، إنْ أراد أن يعيش إسلامه عمليًا، وينجح في مواجهة أعدائه والفوز برضوان ربه.

إنه ليس مخيَّرًا فيها، إن شاء التَزَم بها، وإن شاءَ تخلَّى عنها، إنها من لوازم إيمانه ومظاهر إسلامه.

٤ ـ أنَّ لها مجالًا واسعًا، وبُعدًا عريضًا:

فهي شـاملةٌ لحياتِه كلها، فـي كلِّ مرافقها وجوانبها وآفاقهـا ومظاهرها، في المجـال الفـردي والجماعي والاجتماعي، مع نفسه ومع المقرَّبين والآخرين والناس أجمعين.

٥ ـ أنَّها سِرُّ شخصيةِ المسلم وهيبته ووجوده:

فَبِها يعيش حياته حُرًّا أبيًّا، وعزيزًا كريمًا، يرفضُ الضيم، ويستعلي على مظاهر الضعف، ويصبرُ على الأذى، ويحتملُ الابتلاء، ويواجهُ الظلمَ والجبروتَ والطغيان، ويفرضُ احترامه وتقديره على الآخرين، ولو كانوا أعداءَه ومحاربيه وسجَّانيه وجلّاديه.

٦ ـ أنَّها لله:

يتوجَّه بها المسلم لربه، بإخلاصٍ وإنابة وتجرد، لا يطلبُ عليها من الناس جزاءً ولا شكورًا، ولا ينتظرُ منهم ثناءً ولا مدحًا، بل يعتبرُها عبادة يتقرَّب بها إلى الله، يرجو منه وحده الثواب عليها.

إن مراعاة المسلم للثوابت الإيمانية عبادة، وإن ثباتَه على هذه الثوابت عبادة، تكادُ تساوي بعض الشعائر التعبديةِ التطوُّعية، التي اعتادَ المسلمون أداءَها لله.

٧ ـ أنها مظهرٌ من مظاهر حاجةِ المسلم لربه، ولجوئه إليه، واستعانته والعوذ به:

فهو يَعتبرُ أنه وحده لن يصمدَ لها، ولن يثبتَ عليها، ولذلك يتوجَّه إلى ربه بحاجةٍ وإلحاحٍ واضطرار،

فيطلب منه ـ سبحانه ـ العون والتثبيت، ويدعوه بتضرّع ومسكنة قائلًا: **«اللَّهُمَّ يا مقلِّب القلوب، ثبِّت قلبي على دينـــك. اللَّهُمَّ يا مصرف الأبصـــار، اصرف بصري إلى طاعتك»**.

٨ ـ أنَّها ضروريةٌ لهذا المسلم:

إذ هي صمّامُ الأمان له، يقيهِ ـ بفضل الله ـ من الشرودِ والضياع والانفلاتِ والانحراف، وهي بمثابةِ قارب إنقاذٍ له، يجتازُ بـــه الأعاصير والأمواج والعواصف، وســفينة نجاة، يعبُرُ بها بحر (**الحياة**) الزاخرِ المتلاطم، ودون هذه الثوابتِ لن ينجح في تجاوزِ كل هذه الأخطارِ والأهوال، والوصولِ إلى برِّ الأمان بأمان وسلام.

٩ ـ أنَّها ملازمةٌ لهذا المسلم:

لا يُتصوَّر تخلّيه عنها، ولا ترْكُه لها.. إنها ألصقُ به من جلده؛ فإذا أمكنهُ الانسلاخُ من جلده، والسيرُ في الأرض (مسلوخًا) فليفكِّرْ عندها في انسلاخه عن ثوابته!.

وصـــدق الله حيث يقـــول: ﴿ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ۝ وَلَوۡ شِئۡنَا لَرَفَعۡنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخۡلَدَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُۚ فَمَثَلُهُۥ

﴿كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ [الأعراف: ١٧٥ ـ ١٧٦].

إن هـذه الثوابت ألزمُ للمسلم من روحِه التي بين جنبيه، لأنه بها إنسانٌ حرٌّ كريمٌ عزيزٌ أبيّ.

١٠ ـ أنَّها أغلى عنده من كل شيءٍ في الحياة:

بل أغلى عنده من نفسه التي يحملُها، وأهمُّ عنده من أنفاسِه ونبضات قلبه، ولذلك يقدِّمها على كل شيء، ويضحِّي من أجلها بكلِّ شيء، ولو كان هذا الشيءُ هو حياته وروحه، ولو كان هذا الشيءُ هو أنفاسه ونبضات قلبه، إنه يضحي من أجلها بماله وأهلِه وولده، ومنافعِه ومصالحه ودنياه، بل يضحي من أجلها بنفسه وروحه وحياته، ولا يفعلُ فِعلَ بعض (تجار المبادئ) و(أزلام المواقِف) الذين يُضحون بثوابتهم من أجل مصالحهم ومنافعِهم!.

• مساومات على الثوابت:

ومن السمات الواضحة والمزايا البارزةِ لهذه الثوابت أنها لا تقبلُ المساومة، ولا تخضعُ للمداهنة، ولا تجري عليها المناورة، ولا تتأثرُ بسوق (العَرض والطلب)، ولا تؤثرُ فيها الظروف والأحوال.

ولكن أعداءَ الحق يحاولون مداهنة جنودِ الحق، ويساومونهم على ما عندهم من ثوابت وحقائق، ويدعونهم للتخلِّي عنها.

حاوَلوا هذا مع نبيِّ الله **إبراهيم** عليه السلام، ولكنه واجههم بالثبات على ثوابته، قال تعالى: ﴿ وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ ۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّى فِى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ ۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا ﴾ [الأنعام: ٨٠].

وقد دلَّ القرآنُ **محمدًا** ﷺ على أسلوب الأعداء الدائم في المساومةِ على الثوابت والمداهنةِ عليها؛ قال تعالى: ﴿ فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ ۝ وَدُّوا۟ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴾ [القلم: ٨ ـ ٩].

ومن أطرفِ مساومات قريش للرسول عليه الصلاة والسلام ما رواه ابنُ جرير الطبري، وابنُ أبي حاتم، والطبراني: عن **ابن عباس** رضي الله عنهما: أن قريشًا دعَتْ رسول الله ﷺ إلى أن يُعطوه مالًا فيكون أغنى رجل بمكة، ويزوِّجوه ما أرادَ من النساء، وقالوا: هذا لَك يا محمد، وكُفَّ عن شتم آلهتنا، ولا تَذكُرها بسوء. فإن لم تفعل فإنا نعرضَ عليك خصلةً واحدة، ولك فيها صلاح. قال: «**وما هي؟**» قالوا: تعبدُ آلهتنا سنة، ونعبدُ إلٰهك سنة! فأنزل الله سورة (الكافرون)(١).

---

(١) الدر المنثور، للسيوطي: ٨/ ٦٥٤.

ولقد أمرَ الله رسوله ﷺ، أن يقطع أملهم فيه، وأن يبطل مساومتهم له على ثوابته، وأن يُسمعهم سورة الكافرون: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ﴾ [الكافرون: ١ ـ ٦].

وامتنَّ الله على رسوله ﷺ بتثبيته على الحق الثابت، وعصمته له من التنازل عنه، والاستجابةِ لمساومات المشركين والالتقاء معهم في منتصف الطريق؛ قال تعالى: ﴿وَإِن كَادُوا۟ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ ۖ وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ۝ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ۝ إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ۝ وَإِن كَادُوا۟ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا ۖ وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ۝ سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا ۖ وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٣ ـ ٧٧].

وثَبَّتَ الله رسوله ﷺ على الحق، أمامَ مساومات أعدائه له، في قوله تعالى: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ ۚ فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ ۚ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [هود: ١٧].

وهذه التوجيهات القرآنيةُ ليستْ خاصةً بالرسول ﷺ؛ لأن من قواعد التفسير أن خطاب الرسول ﷺ خطابٌ لأمته، ما لم يقم دليلٌ على التخصيص؛ إنَّها موجهةٌ لكل مسلم حتى قيام الساعة.

وما أحوجَ المسلمَ المعاصر الذي يواجهُ التحديَ العالميَّ الخطير، إلى إطالةِ الوقفة أمام هذه التوجيهات القرآنية حول الثبات على الثوابت، وتلقّي إشاراتها وتقريراتها وإيحاءاتها، ليزداد ثباتًا على ثبات.

• **الثبات على الثوابت وحصول الأذى والمصاعب:**

إن الثباتَ على الثوابت يحتاجُ إلى همّةٍ ومجاهدة، وصَبر ومُصابرة، وإن هذا الثباتَ قد يجرُّ على صاحبِهِ الأذى، ويوقعُ به المصاعب، فلا بدَّ للمسلم الثابت أن يوطِّن نفسه على ذلك، وأن يعزِمَ على أن يتحمل كلَّ ما يصيبُه في سبيل الله، وأن يستعلي على الأذى والمصاعبِ بإيمانه، وأن يستعين على ذلك بربه.

إن الإيذاء والفتنة والابتلاء من سماتِ طريق الثابتين السائرين إلى الله، منذُ أول تاريخ البشرية وحتى قيام الساعة؛ لم يسلم من ذلك نبيٌّ كريم من الأنبياء، ولا

مؤمنٌ من أتباع الأنبياء، ولا مصلحٌ سائرٌ على طريق الأنبياء.

قال تعالى: ﴿الٓمٓ ۝ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [العنكبوت: ١ ـ ٣].

وقال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ٢١٤].

ما من الأنبياء من نبيٍّ إلا أُوذي وابتلي، فواجَهَ ذلك بالصبر والدعوة والثبات: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ۝ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَىٰ مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الأنعام: ٣٣ ـ ٣٤].

والمسلمُ المعاصرُ السالكُ في الطريق إلى الله، الملتزمُ بالثوابت بصبر وثبات، يقتدي في ذلك بالأنبياء، وبثباتِ أتباعهم المؤمنين، إنه يقتدي بالسحرة، الذين جاؤوا إلى موسى عليه السلام، مرتزقةً وجنودًا لفرعون، وأرادوا هزيمة موسى عليه السلام والتغلب عليه، فلمّا بان لهم الحقّ، وعرفوا

أن موسى رسولُ الله، سجدوا لربِّ العالمين، وآمنوا بموسى وهارون عليهما السلام، فتهدَّدهم فرعون وتوعَّدهم، وصبَّ عليهم من أصنافِ التعذيب الكثير، ولكنهم قابلوا كل ذلك بصبر وثبات، فتحمَّلوا كلَّ ما لاقوا في الطريق من أذًى واضطهاد وفتنةٍ ومصاعب، وتحدوا فرعون وسلطانه، واستعلوا على تهديده ووعيده.

قال تعالى: ﴿فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ۝ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ ۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ۝ قَالُواْ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ۝ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ ۗ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ۝ إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ۝ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ۝ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ﴾ [طه: ٧٠ ـ ٧٦].

المسلمُ المعاصر مُطالبٌ ـ من قِبَل ربِّه ورسوله ودينه ـ بتحمل كلِّ ما يُصيبه في سبيل الله، مطالبٌ بصدق ما عاهد الله عليه، وعدم التبديلِ والتغييرِ والتحريفِ، وعدمِ

التنازلِ عن الثوابت، أو المساومةِ عليها، أو (**استهوال**) الطريق، و(**استصعاب**) السير فيه، واستكثارِ الثمن والبذل.

مُطالب بذلك ليصدقَ عليه وصفُ الله لعباده المجاهدين الصادقين الثابتين، وثناؤه على الرجال الرجال، وذلك في قوله تعالى: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ۝ لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّـٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٢٣ ـ ٢٤].

* * *

٤

أساس هذه الثوابت

الثوابتُ للمسلم كثيرة، وتتوزَّعُ مساحةً واسعةً من حياته وكيانه، وتُوجِّه كلَّ حركاتِه وأعماله.

لكنَّ أساسَ هذه الثوابت الذي تنتج عنه، هو معرفةُ المسلم لنفسه وطريقِه، ووقوفُه على هدفِه ووسيلته، وملاحظته لنهايته ومستقرِّه.

• لا للنظرة العبثيَّة للحياة:

الإنسانُ ليس مخلَّدًا في هذه الحياة، فكلُّ مخلوق سيموت.

والإنسانُ في هذه الدنيا موجودٌ لمهمةٍ وغاية، وله وظيفةٌ محددة.

وبعضُ الناس ـ وهم الكافرون الضائعون ـ لا يعرفون معنى وجودهم، ولا غاية حياتهم، وإنما يشعرون بعبثية

هذه الحيـــاة: ﴿وَقَالُواْ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا نَمُوتُ وَنَحۡيَا وَمَا يُهۡلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهۡرُۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنۡ عِلۡمٍۖ إِنۡ هُمۡ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ [الجاثية: ٢٤].

وقد أبطل القرآنُ هذه النظـرة العبثية للحياة، الصادرةَ عــن الكفـار: ﴿أَفَحَسِبۡتُمۡ أَنَّمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ عَبَثٗا وَأَنَّكُمۡ إِلَيۡنَا لَا تُرۡجَعُونَ ۞ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّ﴾ [المؤمنون: ١١٥ ـ ١١٦].

وبيَّن للإنســانِ أنَّ الله لن يتركهُ سُــدًى ضائعًا مهملًا، وذكَّــره برعايةِ الله منــذُ بدايةِ خَلقه وتكوينــه حتى نهايةِ حياته: ﴿أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَن يُتۡرَكَ سُدًى ۞ أَلَمۡ يَكُ نُطۡفَةٗ مِّن مَّنِيّٖ يُمۡنَىٰ ۞ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةٗ فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ۞ فَجَعَلَ مِنۡهُ ٱلزَّوۡجَيۡنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ ۞ أَلَيۡسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحۡـِۧيَ ٱلۡمَوۡتَىٰ﴾ [القيامة: ٣٦ ـ ٤٠].

• ولا للنظرة التجارية المصلحية للحياة:

كما أنَّ الحياة ليست عبثًا، وأن الإنسانَ لم يُخلق فيها سـدى، كذلك يبيِّن القرآن أنها للمســلم ليست انتهازية، ولا تقوم على مصالحــه الذاتية ومنافعه الخاصة، يحققها على حساب دينه وقيمه ومبادئه وثوابته.

لا يجوزُ للمســلم أن يجعَــل دينه وأفــكاره والتزامه (سِلعةً) تجارية، يســاوِم عليها، ويبيعُها مقابل ثمنٍ قليل، من المنافع والمصالح والمكاسب، ما كان الدينُ يومًا ما

سلعة للبيع أو المبادلة أو المساومة! وما كانت المبادئ والحقائقُ والثوابتُ التي يقدِّمها هذا الدين للمسلم **(مادةً)** يبيعُها بعَرضٍ من الدُّنيا قليل.

لقد ذَمَّ الله الأحبارَ والرهبان والربانيِّين من اليهودِ والنصارى، الذين نظروا لمبادئهم هذه النظرة **(التجارية المصلحية)** فساوَموا عليها، واشتروا بها ثمنًا قليلًا.

قال تعالى: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴾ [البقرة: ٧٩].

وحذَّر الله المسلمين من المتاجرة بدين الله ومبادئه الثابتة، بعدما بيَّن لهم بعض مصاعب الثبات:

قال تعالى: ﴿ لَتُبْلَوُنَّ فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ۝ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴾ [آل عمران: ١٨٦ ـ ١٨٧].

وحذَّر الله تُجارَ المبادئ، البائعين للثوابت، الكاتمين للحق، من سوء العذاب، ومن النار التي

اشتروها: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ۝ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيۡهِمۡۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٥٩ ـ ١٦٠].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَشۡتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ مَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡعَذَابَ بِٱلۡمَغۡفِرَةِۚ فَمَآ أَصۡبَرَهُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ ۝ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ﴾ [البقرة: ١٧٤ ـ ١٧٦].

- **تهذيبُ المسلم لحياته:**

أساسُ الثوابتِ الضروريةِ للمسلم المعاصر هُو: أن يجعلَ لـه هدفًا معيَّنًا، وأن يجعلَ لوجوده غايةً عظمى، وأنْ يجعل لحياته رسالةً ساميةً، وأنْ يستحضر هذا الهدف معه في أيِّ زمان ومكان، وأنْ يسلكَ الوسائلَ والسبلَ الكفيلة بتحقيقِ ذلك الهدف.

لا يجوزُ للمسلم المعاصر، الذي يعيشُ التحدي العالميَّ الكبير، أن يعيش هكذا، ضائعًا مُهملًا، أو

مشغولًا بالطعام والشراب، والجنس والشهوة، والمالِ والجاه والمنزلة، لا يجوزُ أن يكون شعارُهُ في الحياة قول الشاعر:

إنما الدنيا طعامٌ وشرابٌ ومَنامْ
فإذا فاتَكَ هذا فعلى الدُّنيا السَّلامْ

بل المسلمُ صاحبُ رسالةٍ وهدف، إنّه (يُهَدِّفُ) حياته، ويجعلُها (وَقْفًا) على هدفه، ولسانُ حالِه قول الشاعر:

تهونُ علينا في المعاني نفوسُنا ومَنْ يَخْطبِ الحسناءَ لم يغلِهِ المَهْرُ

ولقد أشار القرآن إلى (حيوانية) الكفار الذين هدفهم هو الأكلُ والشربُ والاستمتاع بالشهوات: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ﴾ [محمد: ١٢].

ودعا القرآنُ المسلمَ إلى (تهديفِ) حياته، ودلَّه على وسائِله لتحقيق ذلك الهدف، في عباراتٍ جامعة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ۚ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ﴾

[الحج: ٧٧ ـ ٧٨].



• هدفُ المسلم ووسيلته:

قد يخطئ بعضُ المسـلمين في معرفة هدفه، ووسيلته لتحقيقه، ولذلك مَـنَّ الله علينا بأنْ حَدَّد لنا الهدفَ الذي نسعى إليه، وحَدَّدَ لنا الوسيلة التي نسلكُها للوصول إليه، وطالَبَنا بالالتزام بذلك.

١ ـ هدف المسلم المحدَّد:

إن هدف المسـلم المحدَّد هو: أنْ يحقق رضوانَ الله، وأنْ ينـالَ محبته، وذلك بأنْ يُنجيـه الله من عذابِ النار، وأنْ يَمُنَّ عليه بدخول الجنـة، وأنْ يُنعمَ عليه بالرضوانِ والنظرِ إلى وجهه الكريم ـ سبحانه ـ.

قـال الله تعالـى: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

وقال تعالى: ﴿ قَالَ ٱللَّهُ هَـٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّـٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ ۚ لَهُمْ جَنَّـٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [المائدة: ١١٩].

وأثنى الله على مَنْ جعل هَدفه نيـلَ رضوان الله، فباعَ نفسه لتحقيق هذا الهدف: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾ [البقرة: ٢٠٧].

وما أعظم هذه البشرى التي زفَّها لنا رسول الله ﷺ:

روى مسلم في صحيحه: عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أن النبيَّ ﷺ قال: «إن الله يقولُ لأهل الجنة: يا أهلَ الجنة! فيقولون: لَبَّيكَ ربَّنا وسَعديك، والخيرُ في يديك. فيقول: هـل رضيتُم؟ فيقولون: ومـا لنا لا نرضى يـا رب، وقد أعطيتنا ما لم تعطِ أحدًا من خلقك؟! فيقول: ألا أعطيكم أفضل من ذلك؟ فيقولون: يا ربّ! وأيُّ شـيءٍ أفضلُ من ذلك؟ فيقول: أُحِلُّ عليكم رضواني، فلا أسـخطُ عليكم بعده أبدًا»[1].

وماذا تريدُ أيها المسـلم المجاهدُ الثابـت أعظمَ من هذا؟! إنَّ هدفَك هو نيلُ رضوان الله، إنه أسـاسُ الثوابت التي تَثبـتُ عليها في الحياة، فلا تـرضَ عن رضوان الله بديلًا، ولا تتحوَّلْ عنـه تحويلًا، وناجِ رَبَّـكَ دائمًا بهذه العبارات الإيمانية النديّة:

فَلَيْتَـكَ تَحْلُو وَالحيـاةُ مَريرةٌ ... وَليتكَ ترْضَى والأنامُ غِضابُ

وَلَيْتَ الَّذي بَيني وَبينكَ عامِرٌ ... وَبيني وَبيـن العالمين خَرابُ

إذا صَحَّ مِنكَ الوُدُّ فالكُلُّ هَيِّنٌ ... وَكُلُّ الَّذي فَوقَ التُّرابِ ترابُ

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الجنة رقم (٥١)، باب إحلال الرضوان على أهل الجنة رقم (٢)، حديث رقم (٢٨٢٩).

٢ ـ وسيلةُ المسلم المحدَّدة لتحقيق هدفه:

وكما حدَّد الله للمسلم هدفه، كذلك حدد له الوسيلة لتحقيقه، ورَسَم له الطريقَ المستقيمَ الذي يوصلُه إليه، وبيَّن له معالم الطريق، وحذَّره من عوائقه ومعوِّقاته.

إن الوسيلة المحدَّدة هي (**العبادةُ الحقة**) لله سبحانه، وهي وظيفةُ كل المخلوقاتِ من الملائكةِ والإنسِ والجنِّ وغيرهم، إنها العبادةُ بمفهومها الإسلامي الواسع الشامل، الذي يتَّسع لكل لحظةٍ ولفظة، وخطوة وخطرة، وفكرة وعبرة، في أيِّ زمان ومكان.

قال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ﴾ [البينة: ٥].

وقال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦۚ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

• خطَّة المسلم والنفس التواقة:

إنَّ المسلمَ مطالبٌ أن ينظِّم حياته وفق هدفهِ الثابت ووسيلتِه الثابتة، بأن يجعل لنفسه خطة واضحةً بيِّنة، واضحة الملامح، محدَّدة الخطوات، يُراعي فيها تحقيق هدفه، وتنفيذَ وسيلته، ويحاسبُ نفسه عليها، ويأخذها على الالتزام بها.

ويحرصُ على أن يكونَ في خطته ذا نفسٍ تواقة، بأن يضع لنفسه مراحلَ متدرِّجة، كلُّ مرحلة تُسلِّم للتي تليها، بحيث تُسلِّم المرحلةُ الأخيرةُ للجنة والفوز برضوانِ الله فيها.

ويُلزمُ نفسه أن تكون (**تواقة**) في تنفيذ مراحل خطته، بحيثُ كلما نَفَّذَتْ قسمًا منها ووصلت إلى نهايتها، تاقت ـ برغبة وهمة وجهد ـ إلى التي تليها، وهكذا يبقى (**توَّاقًا**) حتى يفارق هذه الدنيا.

ولْيقتد بإمام الزاهدين ـ ما عدا رسول الله ﷺ وخلفائه الكرام ـ وسيدهم؛ الخليفة الزاهد **عمر بن عبد العزيز** رضي الله عنه.

روى وزيرُه الناصحُ المخلص **رَجاءُ بْنُ حَيوة**، قال: كنتُ مع عمر بن عبد العزيز لمّا كان واليًا على المدينة، فأرسلني لأشتري له ثوبًا. فاشتريته له بخمسمئة درهم، فلمّا نظر فيه قال: هو جيّد لولا أنه رخيص الثمن!.

فلمّا صار خليفة المسلمين، بعثني لأشتري له ثوبًا، فاشتريته له بخمسة دراهم! فلمّا نظر فيه قال: هو جيّد لولا أنه غالي الثمن!.

قال رجاء: فلمّا سمعتُ كلامه بكيتُ.



فقال لي عمر: ما يبكيك يا رجاء؟.

قلتُ: تذكَّرت ثوبك قبل سنوات وما قلتَ عنه.

فكشف عمر ـ ذو النفس التواقة ـ لرجاء بن حيوة سرّ هذا الموقف، وقال: «يا رجاء! إنَّ لي نَفَسًا تواقة، وما حققتُ شيئًا إلا تاقت لما هو أعلى منه. تاقت نفسي إلى الزواج من بنت عمي فاطمة بنت عبد الملك فتزوَّجْتُها، ثم تاقت نفسي إلى الإمارة فوليتُها، وتاقت نفسي إلى الخلافة فنلتُها، والآن يا رجاء تاقت نفسي إلى الجنة، فأرجو أن أكون من أهلها».

وهكذا أيها المسلم المجاهد، لتكُنْ نفسك تواقة إلى الجنّة، ولا تنشغل عن تلك الجنة بزخارف هذه الحياة الدنيا، ولا تتركها تشغلك عن هدفك، أو تفسد عليك وسيلتك، أو تحرمك من (تَوْقِك) وسعيك وجهدك.

* * *

٥

خطوط ثابتة في شخصية المسلم

نشيرُ فيما يلي إلى أبرز الخطوط الثابتةِ المستقرة في شخصية المسلم، وهذه الخطوطُ ترمزُ إلى الثوابت الأصيلة الثابتةِ في كيانه وحياته، وقد بيّنتْ هذه الخطوطَ آياتُ القرآن الكريم، ورسمتها سيرةُ رسول الله ﷺ وحياةُ صحابته المجاهدين.

إن أبرز ما يميِّزُ المسلمَ الملتزم بدينه، الداعي إليه، الثابت عليه ما يلي:

- **أولًا: هو عابد:**

فوظيفتُهُ ورسالتُهُ في الحياةِ هي العبادةُ لله وحده سبحانه - العبادةُ بمفهومها الإسلاميِّ الواسع الشامل - إنه لا يحققُ وجوده ولا إنسانيته، ولا سعادته وكرامته؛ إلا بإخلاص العبودية لله وحده، فنفسه (**عِزُّها الحقيقيُّ في ذُلِّها الكاملِ لربه**)، ولذلك فهذا المسلم هو (**العبدُ الحرّ**).

تســتغرقُ عليه كل لحظاتِ ودقائق وساعاتِ نهاره وليله، إنه عابدٌ لله لمدَّة أربعٍ وعشرين ساعةً يوميًّا.

إنه عابدٌ لله في المســجدِ والبيتِ والمؤسســةِ والعملِ والوظيفةِ والشارعِ، وأينما توجَّه أو سارَ أو أقام.

إنه عابدٌ في حياته التعبدية (**الشــعائر**)، وفي شــرائعه وقوانينه، وعابدٌ لله في حياته التعليمية والعلمية والسياسية والاقتصادية، والاجتماعية والسلوكية والعائلية، في حياته العامة والخاصة، وغير ذلك.

إن أبرز لون (**يلــوِّن**) حياته هو العبــادةُ لله، وإنَّ أمتن خطٍّ ثابتٍ من ثوابته هو العبادةُ لله.

ما أجملَ حياةَ هذا المسلم عندما يُلوِّنُها بلون العبادة، وما أسعد حياته عندما يُطعِّمها بطعم العبادة، وما أصفى وأوضح حياته عندما ينظــر إليها بمنظارِ العبادة، ويُنفذها من زاوية العبادة لله وحده سبحانه.

- **ثانيًا: هو مجاهد:**

ومن ألزم الثوابت له أنه مجاهد:

قال تعالى: ﴿وَجَـٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ﴾ [الحج: ٧٨].

وقال تعالــى: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

هناك (**فراغاتٌ**) في حياةِ وشخصيةِ المسلم لا يمكنُ أن تُملأ إلا بالجهادِ في سـبيل الله! وهناكَ (**تقصيراتٌ**) في حياته وسـلوكه لا تتلاشـى إلا بالجهـاد، وهناك (**مقاماتٌ**) ومنازلُ في الجنة عالية، لا ينالُها إلا بالجهادِ، قـال تعالــى: ﴿ لَّا يَسۡتَوِي ٱلۡقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ غَيۡرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ وَٱلۡمُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ عَلَى ٱلۡقَٰعِدِينَ دَرَجَةٗۚ وَكُلّٗا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلۡقَٰعِدِينَ أَجۡرًا عَظِيمٗا ۝ دَرَجَٰتٖ مِّنۡهُ وَمَغۡفِرَةٗ وَرَحۡمَةٗ ﴾ [النساء: ٩٥ ـ ٩٦].

ويبقى المؤمنُ ثابتًا علــى (**الجهاد**) حتى تفارِقَ روحُه جسـدَه، ليصدُقَ عليه قوله تعالى: ﴿مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبۡدِيلٗا ﴾ [الأحزاب: ٢٣].

ونذكِّرُ بأنَّ للجهادِ صورًا وحــالاتٍ كثيرة، وله ميادينُ وأساليبُ منوعة، أعلاها حملُ السلاح وقتالُ الكفار، لكن دونَ هذه المنزلة منازلُ ودرجاتٌ جهادية، صاحبها مجاهدٌ في سبيل الله مع المجاهدين:

إنَّ كلَّ جهدٍ لدين الله جهـاد، كل كلمةٍ صادقة جهاد، وكل خطوةٍ راشـدة للدين جهاد، وكل خطبةٍ أو محاضرة للدعوة جهاد، وكل ورقةٍ أو نشرةٍ أو رسالة في سبيل الله جهاد - فاللَّهُمَّ تقبَّـلْ منّا جهدنا وجهادنـا! - وكل ثباتٍ على دين الله جهاد، وكل موقفٍ رجوليٍّ إيمانيٍّ مع أعداءِ الدين جهاد!..

إن الجهـاد عظيمٌ مبـارك، لأنه لا تحلـو الحياةُ إلَّا بالجهاد، ولا تزكو النفـوسُ إلّا بالجهاد، ولا تتضاعفُ الهمم إلّا بالجهاد، ولا تقـوى العزائمُ إلّا بالجهاد، ولا تتفتح القرائـحُ إلّا بالجهـاد، ولا تتميّـزُ الصفوف إلّا بالجهـاد، ولا تنتشـرُ الدعـوة إلّا بالجهـاد، ولا يُهزمُ الأعداء إلّا بالجهـاد، ولا ينتصرُ الحق إلّا بالجهاد، ولا تنـالُ الشـهادة إلّا بالجهـاد، ولا يضاعـفُ الأجر إلّا بالجهاد.

وصـدقَ الله حيث يقـول: ﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا۟ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا۟ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَـٰلِحٌ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ

أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ۞ وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [التوبة: ١٢٠ ـ ١٢١].

وصدق القائل:

قِفْ دونَ رأيكَ في الحياةِ مُجاهِداً   إنَّ الحيـاةَ عَقيـدةٌ وجِهـادُ

- **ثالثًا: هو زاهد:**

المسـلم زاهدٌ في هذه الدنيا، لأنه يرنـو ببصرِه نحوَ الجنـة، ولذلك لا تُلهيـهِ الدنيا بما فيها مـن متعٍ وفتنٍ وشهوات.

إنه يزهدُ في الدنيا لأنه يزنها بميزانه الإيماني، ويقارنُ بينها وبين الآخرة، فيختار الباقي على الفاني.

لقد بيَّن له القرآن (قيمـة) الدنيا بالقياس إلى الآخرة، في مثل قوله تعالـى: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ۞ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ [آل عمران: ١٤ ـ ١٥].

وفي مثل قوله تعالى: ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَـٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَـٰمًا ۖ وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ ۝ سَابِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾ [الحديد: ٢٠ ـ ٢١].

ومِنْ زهدِه في الدنيا وزخارفها: أنَّه لا ينشغلُ بها عن الآخرة، وأنَّه لا يؤْثرها على الآخرة، وأنَّه لا يسمحُ لأهلها وما فيها أن يُعيقوهُ عن تحقيق هدفه في الآخرة، وأنَّه يستعلي على كل ما فيها، وأنَّه لا يسمح للذةٍ منها أو شهوةٍ أو صورةٍ أن تشغلَ فكره وأحاسيسه ومشاعره وحياته.

إنَّ المؤمن عندما يزهدُ في الدنيا ومُتعِها وملذّاتها، سيبقى في مأمنٍ من الخضوعِ للضغوط، أو الاستجابةِ للإغراءات، أو الموافقة على المساومات والمداهنات، التي يبذلُها له عبيدُ الدنيا أعداء الدِّين.

إنَّ زهده في الدنيا سيمنحه زادًا كبيرًا من الثبات على ثوابته، لأنَّ أعداءه لن يجدوا لهم عليه سبيلًا، ولا إليه

منفذًا أو طريقًا! بماذا يساومونه ويُغرونه ويضغطون عليه؟ أبالدنيا وزخارفها؟ لقد زهد فيها فكيف يستجيبُ لهم؟!..

ليس معنى زهده في الدنيا، أن يُحَرِّم على نفسه الاستمتاع بالمباح من شهواتها وملذاتها وخيراتها وطيباتها، وليس معنى الزهدِ أن يكونَ فقيرًا مُعدَمًا، ينامُ في كوخ، ويلبسُ الملابسَ الرثة، والأسمال البالية.

إنَّ زهده يتحققُ مع حصوله على مباحاتها وطيِّباتها، فقد يكونُ (مليونيرًا) زاهدًا، أو (مالكًا) كبيرًا زاهدًا، وقد يبني أفخم المنازل، ويستخدمُ أجودَ الأثاث، ويركبُ أحدث السيارات، ويلبسُ أغلى الملابس، ويعملُ في أرقى الوظائف، وهو مع ذلك زاهد، بحيثُ يجعلُ هذا كلَّه في يده، لا في قلبه، فيلقيه كلَّه جانبًا إذا تعارضَ مع دينه، أو تناقض مع ثوابته!.

الزهدُ زهدان: زهدُ الغنيِّ التقيِّ الواجد! وزهدُ الفقيرِ المحرومِ الفاقد! والمؤمن على كلتي حالتيه زاهد!.

• رابعًا: هو صابر:

الصبرُ مَعْلَمٌ بارز من معالم الطريقِ إلى الله، وخطٌّ متين من خطوط الشخصية الإسلامية الثابتة.

والصبرُ مجالُه واسع، وأفُقُه فسيح، ومظاهرُهُ منوَّعة، وصوَرُه عديدة.

الصبرُ على الطاعة، وعلى ترْك المعصية، وعلى شدَّة الحالة، وعلى مشقَّة السير، وعلى طولِ الطريق، وعلى تأخُّر الاستجابة، وعلى بطءِ العلاج، وعلى فتن الدنيا، وعلى انتفاش الباطل، وعلى عنفِ المواجهة، وعلى قوة المعركة، وعلى ألمِ المحنة، وعلى كثرةِ التضحيات، وعلى ضعف النفس، وعلى وساوسِ التثبيط، وعلى هجمةِ المساومات، وعلى.. وعلى.. ممَّا يجدُهُ ويواجهه المسلم في طريقه.

والمسلمُ الثابتُ على ثوابته يعلمُ أن الصبرَ أقوى زاد، وأنفذُ سلاح، فيتزوَّدُ به لطريقه، ويتسلَّحُ به في مواجهة أعدائه.

وهو يقرنُ بين الصبر والمصابرة ـ وهي مفاعلةٌ من الصبر ـ والمرابطة الصابرة المحتسبة لله، وفي ذلك يُنفِّذُ أمر الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران: ٢٠٠].

لقد واجه الأنبياءُ وأتباعُهم أعداءهم بسلاح الصبر، وقطعوا طريقهم إلى الله صابرين مصابرين: ﴿ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَىٰ مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ﴾ [الأنعام: ٣٤].

والصابرُ أجرهُ مضاعفٌ عند الله، كما قال الله: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠].

وجَعل القرآنُ الصبرَ من أقوى العُدَد في مواجهةِ الأعداء: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَٱصْبِرُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الأنفال: ٤٥ ـ ٤٦].

والصبرُ في حقيقته نوعان: صبرٌ إيجابي، وصبرٌ سلبي.

١ ـ الصبرُ السلبيّ:

وهو صبرُ اليائسِ العاجز القانط، الذي فقدَ الثقة، بالمستقبل، ولم يرَ للجهدِ ولا للدعوةِ ولا للجهادِ ثمرةً ولا فائدةً ولا نتيجة، فجلس يندبُ حظَّه، ويلعن زمانه، ويجترُّ حسراته وآلامه، وينتظرُ نهاية عمره، ودنوَّ أجله، وصار يطلب من الله أن يُصَبِّرَه في ما تبقَّى من عمره.

وهذا الصبرُ مرفوض، حيث لا زاد فيه، ولا مدد منه، ولا ينفع صاحبه.

٢ ـ الصبرُ الإيجابيّ:

وهو ما وصفَهُ الله في القرآن بالصبر الجميل؛ الصبرُ

الإيجابيّ الجميلُ، وهو صبرُ يعقوب عليه السلام، الذي استخدمه وهو يعيشُ الأملَ المشرقَ البسَّامَ في لقاء ابنه يوسف عليه السلام، فكان الصبر الجميلُ عنده من أقوى البواعث على لقائه به.

بالصبر الجميل واجه كَذِبَ المتآمرين: ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف: ١٨].

وبالصبر الجميل أمر أولاده بالبحث عن أخوَيْهم: ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا﴾ [يوسف: ٨٣].

الصبرُ الجميل هو ما استخدمهُ محمدٌ ﷺ في مواجَهةِ تكذيبِ قومه، فكان دافعًا له إلى المزيدِ من الدعوة والجهد والنشاط، حتى تحققتْ آمالُه، وانتصرتْ دعوتُهُ: ﴿فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا﴾ [المعارج: ٥].

الصبرُ الإيجابيُّ الجميل ضياءٌ للمسلم المعاصر، يضيءُ له طريقه، كما قال رسول الله ﷺ: «**الصبرُ ضياء**».

والصبرُ الإيجابيُّ الجميل طريقٌ للنصر والعزِّ والتمكين، كما قال رسول الله ﷺ: «**واعْلَمْ أنَّ النصر مَعَ**

الصَّبر، وَأنَّ الفَرَجَ مَعَ الكَرْب، وَأنَّ مَعَ العُسرِ يُسرًا».

المسلمُ صابرٌ مصابر صَبَّار، يهتفُ دائمًا بقول القائل:

لأستَسْهِلَنَّ الصَّعْبَ أو أُدرِكَ المنى   فَما انقادَتِ الآمالُ إلَّا لصابرِ

بل هو يسابقُ الصبرَ ويسبقُه، ويدعوهُ إلى أن يلحق به:

صابَرَ الصَّبْرَ فاستغاثَ به الصَّبْرُ   فَقالَ الصَّبورُ يا صَبْرُ صَبْرا

• خامسًا: هو صادق:

والصدق ملازمٌ للصبر، وشرطٌ ضروريٌّ لاستمرارِ السير، والصدقُ ـ مثلُ الصبر ـ ميدانُه عريض، وأنواعُه شتى، أدناها صِدْق الرجل في حديثه وكلامِه.

المؤمنُ صادقٌ في كلامه، صادقٌ في سلوكه، صادقٌ في أفعاله، صادقٌ في مواعيده وارتباطاته، صادقٌ في مواقفه، صادقٌ في جهاده، صادقٌ في سيره.

إنَّه صادقٌ مع ربِّه، صادقٌ مع رسوله، صادقٌ مع دينه وقرآنه وإسلامه، صادقٌ مع نفسه، صادقٌ مع من حوله، صادقٌ مع كل من يتعامل معه، صادقٌ في محبَّته ومودَّته، صادقٌ في حربه ومواجهته.

يعيشُ دنياه بصـــدق، وينصرُ دينه بصدق، ويســـيرُ طريقه بصدق، ويغادر هذه الدنيا بصدق، ليصدق عليه قــول الله تعالـــى: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْـهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٢٣].

• سادسًا: وخطوط أخرى:

أشرنا إلى أبرزِ خمسةِ خطوطٍ من شخصيةِ المسلم الثابتة، باعتبارِهـــا من أهـــمِّ الثوابـــت المُثبِّتة له على دينـــه ودعوته وطريقه وغايته؛ وهي: أنه عابد، مجاهد، زاهد، صابر، صادق.

وهناك خطوطٌ أخرى، مستقرةٌ في شخصيته، وثابتةٌ في كيانه؛ منها:

١ - أنه جادٌّ في ســـيره إلـــى الله، وفي جهـــده وجهاده لخدمة دينه.

٢ - أنه عزيزٌ حرٌّ أبيٌّ، يرفضُ الضيم، ويأبى الذُّلَّ، ولا يخضعُ ولا يَلين لمخلوق.

٣ - أنه ذاكرٌ لربه في كلِّ حالاته.

٤ - أنه متواضعٌ مع النـــاس، لا يتيهُ عليهـــم، ولا يمنُّ عليهم بما بَذل وقَدَّم.

٥ ـ أنه متفائلٌ يعيش الواقع بأملِ المستقبل، ويقرن التفاؤل والأمل بالعمل.

٦ ـ أنه محبٌّ للآخرين، يملك قلبًا يسعُ الجميع بتجاوزاتهم وإساءاتهم.

٧ ـ أنه خيِّرٌ نافع، يقدِّم النفعَ والخيرَ للآخرين، حتى لو عاملوه بالسوء والأذى.

٨ ـ أنه حريصٌ على إرشاد الآخرين ونُصحهم، مشفقٌ على البائسين الضائعين منهم.

٩ ـ أنه واعٍ مفكِّرٌ متدبِّر، يستفيدُ من كل ما يمرُّ به، ويعتبرُ بكل ما يجري له.

١٠ ـ أنه وفيٌّ لدعوته ودينه وإخوانه، لا يغدر بهم ولا يتنكَّرُ لهم.

١١ ـ أنه ذكيٌّ لمَّاحٌ كَيِّسٌ فَطن، يُفوِّتُ كيد الأعداء ويبطل مكرهم ضدّه.

١٢ ـ أنه معطاءٌ عطاء دائمًا متجددًا سخيًّا، لا يضنُّ على دينه وإخوانه بأيِّ شيء يملكه.

١٣ ـ أنه جنديٌّ لربِّه ولدينه ولدعوته، لا يفارقُ جنديته طيلة عمره.

١٤ ـ أنه قرآنـيُّ العقـل والمعرفة والأسـلوب والعبارة، يصدرُ عن القرآن في كل شيء.

١٥ ـ أنه طالبُ علم، وراغبُ معرفة، يتزوَّدُ في العلم حتى يلاقي ربه.

* * *



ميادين لهذه الثوابت

تشغلُ ثوابتُ المسلم حيِّزًا كبيرًا من حياته العامة والخاصة، وتتوزَّعُ مساحةً شاسعةً من حياته، وتتجلَّى في مختلف ميادين تلك الحياة ومجالاتها، بحيث تُوجِّه وتُحرِّك المسلم في كافة تلك الميادين.

وشمولُ هذه الثوابتِ لكل تلك الميادين والمجالات، مظهرٌ من مظاهرِ (الشمول) في التصوُّر الإسلامي.

وأهم مجالات وميادين الثوابت في حياة المسلم هي:

- **ثوابته في معالم شخصيته:**

معالمُ شخصيةِ المسلم ثابتة، وصفاتها البارزةُ ثابتة، وخطوطُها المستقرَّةُ فيها - التي أشرنا إلى أهمها من قبل - ثابتة.

الثوابتُ العباديةُ والجهاديَّةُ عنده لا تتغيَّر، لا ينسى لحظةً أنه عابدٌ مجاهدٌ زاهد، ولا يتخلَّى لحظة عن حريته

وعزته وكرامته، لا يستذله مخلوق، ولا يستعبده مسؤول، ولا يجبن أمامَ طاغية، ولا يضعفُ أمام جبار.. يستعلي بإيمانه، ويثبتُ على ثوابته، حتى لو كان ضعيفًا مجرَّدًا من كل أسباب ومظاهر القوة المادية.

إن المعالم الرئيسة لشخصيته ثابتةٌ عنده، ملازمةٌ له، لا يُتصوَّرُ أن يتخلَّى عنها، فضلًا عن أن يساوَم عليها أو يتاجر فيها.

- **ثوابته التصوُّرية والفكرية:**

تصوُّرات المسلم وأفكارُه ومبادئه، استمدَّها من القرآن والسُّنَّة، ولذلك يعتبرُها ثوابتَ ملزمةً له.

من تلك الثوابت: يقينُهُ بأنَّ الدينَ عند الله الإسلام، وأنَّ الله لا يقبلُ أيَّ دين أو مبدأ آخر غيره، وأنَّ المسلم الصالح هو (المرشَّحُ) لدخول الجنة، وأنَّ جميع أصحابِ الأفكارِ والمبادئ والديانات الأخرى غيرُ مسلمين، أي أنهم كافرون، لا يواليهم في الدنيا، ولا يشكُّ في خلودهم في النار يوم القيامة.. ويقينُه بأن طريق الجنة واحدة؛ وهي في هذا الدِّين، والطريق إلى الله واحدة؛ وهي طريقُ الإسلام المستقيم.

• ثوابته الثقافية الإسلامية:

ونعني بها ثوابتَه في فهم الإسلام، كما يريدُ الله له أن يفهمه، وكما فهمه الرسول عليه الصلاة والسلام وصحابتُهُ الكرام، باعتباره دينًا عامًّا خالدًا، وأنه نظامٌ كاملٌ شاملٌ، يشــمل كلَّ مرافق الحيــاة ومجالاتها، فهو ديــنٌ ودولة، وشــعيرةٌ وشــريعة، ودســتورٌ ونظام، ومصحفٌ وسيف، وعقيدةٌ وعبادة.

وهو ينظِّم كافــة مرافق ومجــالات الحيــاة: العبادية والأخلاقيــة والاجتماعيــة والسياســية والدســتورية والاقتصاديــة والعســكرية والعلميــة والفنيــة والثقافية والدولية وغير ذلك.

وهــو يوجبُ على الأمة المســلمة أن تَصــدُرَ في كلِّ مرافقها وميادينها عن هذا الإسلام العظيم، ولا يجيزُ لها أن تخالفه في أيَّة جزئيةٍ من جزئيات تلك الحياة.

• ثوابته الدعوية:

يوقنُ المســلمُ بــأنَّ أهــمَّ واجباته المطلوبــة منه هو (الدعوةُ إلى الله)، ولذلك يجعل حياته ومواهبه وإمكاناته وطاقاته (وقفًا) على دعوته، فيدعــو الآخرين وينصحهم

ويرشـدُهم ويوجههم، ويجهرُ بالحق، ويصـدعُ بالأمر، ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويبلِّغ الدعوة في أيِّ زمان أو مـكان، وتحت أيِّ ظرف كائنًا مـا كان، ويدفعُ تكاليف الدعوة ـ الشاقة ـ وضريبتها ـ الباهظة ـ ويتحمَّل كلَّ ما يواجهه برضًا ويقين وثبات.

• **ثوابته في الوزن وَالنظر والتقويم:**

يثبتُ المسلم على ثوابته في وزْن الأفكار والمبادئ والشعارات والأشخاص، فلا يستعملُ في ذلك إلَّا (الميزانَ الإسلاميَّ) الصحيح الصادقَ الثابت، ولذلك لا يخطئُ في وزن كلِّ ما يحيط به من دعوات وشعارات وأشخاص، ولا يخطئُ في تقويم ذلك تقويمًا إسلاميًّا دقيقًا.

القيمةُ الإيمانية التي يقوِّم بها الأشخاص ثابتةٌ: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣] وليس أقواكم، أو أغناكم.

ومنظارةُ الإيمانـيُّ البصيرُ الذي ينظرُ بـه إلى كلِّ ما حوله، ثابتٌ مشرق منير، لا يُصاب بالغبش أو العمى أو الضعفِ أو الخلخلة.

• ثوابته في شؤون الحكم والتشريع:

نظرتُهُ لشؤون الحكم والسلطان والتشريع ثابتة، منطلقةٌ من ثوابته الأصيلة، إنَّ الحاكمية عنده لا تكونُ إلّا لله ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾ [يوسف: ٤٠].

ولذلك لا يمنح صلاحيات (**الحاكمية**) لأحد من البشر، سواء كان شخصًا أو هيئة أو نظامًا أو حزبًا أو سلطة، لأنه يعتقد أن وظيفة الأمة كلِّها هي (**تنفيذُ**) حكم الله، وتطبيقُ شريعته، والالتزامُ بقواعده، ويعتقدُ أن كلَّ مرافق ومجالاتِ وميادينِ ومؤسسات الأمة لا بد أن تلتزم بشريعة الله، وأن لا تخالفها في صغيرةٍ أو كبيرة.

• ثوابته في مواقفه السياسية:

مواقفُ المسلم السياسية ثابتة، وغيرُ خاضعة للتلوُّن والانتهازية، لأنها تصدرُ عن إسلامه وقرآنه، ويحكمُها ميزانُه القرآنيُّ في وزن الأحداث والتطورات والمستجدات السياسية.

لا يمكن أن يوالي هذا المسلم الكافرين، أو يحبَّهم، أو يقربهم ويجعلهم (**وليجةً**) له في صورة خبراء أو مستشارين، ولا يمكنُ أن يتحرَّك خطوة سياسية، أو يقفَ

موقفًا سياسيًا، أو يصرِّحَ تصريحًا سياسيًا، يخالفُ (ثوابته) السياسية والتصورية والإيمانية.

• ثوابته في نظرته إلى أعدائه:

إنَّ المسلم لا يعادي إلَّا مَنْ عادى هذا الدِّين، ولا يحاربُ إلَّا من حارب هذا الدين، فحبُّه لله وفي الله، وبغضه لله وفي الله، وصلته بالناس محبةً أو عداوةً على مقدار قُربهم أو بُعدهم من دين الله، فالعدوُّ عنده يبقى عدوًّا ما دام معاديًا لهذا الدِّين، ولا يتخذُه صديقًا أو عزيزًا إلَّا إذا دخل معه في هذا الدين.

• ثوابته في المسألة الفلسطينية:

إنَّ نظرته للقضية الفلسطينية - القضية المركزية الأولى للمسلمين في هذا العصر - محكومةٌ بثوابته الأصلية: اليهودُ عنده كلُّهم أعداء، وهم غاصِبون محتلون لفلسطين، ولذلك لا يفكِّر في مصالحتهم أو مهادنتهم، ويؤمن أنَّه لا حقَّ لهم في كيانٍ على أصغر جزءٍ من فلسطين، وفلسطينُ كلُّها أرضٌ إسلامية، ويجبُ تحريرها من البحر إلى النهر، وهي قضيةٌ إسلامية، تهمُّ المسلمين جميعًا، إنها ليست قضيةً عربية فقط، ولا إقليميةً فلسطينية فقط.

ويؤمن بوجوبِ توجيه كلِّ طاقات وقُدرات وإمكاناتِ الأمة المسلمة لقتالِ اليهود، وتحرير فلسطين كلِّها منهم، ويؤمنُ أنَّ الحلَّ الوحيد للقضية الفلسطينية هو (**الجهاد: نصر أو استشهاد**)، وأنَّ مفتاح الحل هو: ﴿ ٱدۡخُلُواْ عَلَيۡهِمُ ٱلۡبَابَ فَإِذَا دَخَلۡتُمُوهُ فَإِنَّكُمۡ غَٰلِبُونَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾ [المائدة: ٢٣].

وأنَّ هذا الحلَّ هو أقصرُ الطرق وأسرعُها، وأنَّ ما سواه متاهاتٌ وأوهام، وسرابٌ خادع.

ولذلك يجب تنشئةُ الأمة على الجهادِ وطلب الاستشهاد، ويجب إعدادُ جيل الجهاد من شباب الأمة القويِّ الفتي.

- **ثوابته في النظر إلى المستقبل:**

يتعاملُ المسلمُ الثابتُ على الثوابت مع المستقبل على أساسِ (وُعود الإسلام) في آياتِ القرآن، وأحاديثِ رسول الله الصحيحة ـ عليه الصلاة والسلام ـ.

يستشرفُ ذلك المستقبل وفق تلك النصوص، فينظرُ فيه بمنظارٍ إيماني صادق، ويرى ملامحه وسماته بصفاءٍ ووضوح.

إنَّه يعتقدُ ـ انطلاقًا من ثوابته ـ أن الواقع البائس لهذه الأمة سيتغير، وأن الغاشـية الجاهلية السوداء التي غطت سماءها ستتلاشـى، وأن المظاهر الشـائهة التي شوهت وجه الأمة المشرق سـتزول، وأنَّ المرض الخطير الذي أصاب الأمة سـينتهي، وأنَّ هذه الأمة ستسـتردُّ عافيتها، وتعودُ إليها دماؤهـا، وتعود لتتبوَّأ منزلتها السـامية بين الأمم، وتعـودُ إلى إسـلامها العظيم، وقرآنهـا الخالد، وتُحَكِّمُه في كلِّ شـؤون حياتها، وتنشئُ كيانها ووجودها على أساسه، وبذلك ستنتصر على أعدائها، وتقضي على أزماتها، وتحلُّ مشكلاتها.

إنَّه يؤمنُ أنَّ البشـريةَ كلَّها سـتفيءُ إلى هذا الإسلام، وستتخلَّى عمَّا هي فيه من جاهليةٍ وكفر، وضياعٍ وحيرة، وحيوانيةٍ بهيمية، وأن الإسلام سـيبلغُ كلَّ جزءٍ من هذا العالم، وأنَّ الله سيتمُّ نوره، ويظهرُهُ على الدِّين كلِّه ـ ولو كره الكافرون والمشركون ـ.

ولذلك تجدُ هذا المسلم الثابت، كلُّه أملٌ وثقة ويقين بأن **(المستقبل لهذا الدين)**.

ولكنـه لا يجعلُ أملـه ويقينـه وثقته مجـردَ أمنياتٍ وخيـالاتٍ وأحلام، ولا يعقـد ويسـتكين مداعِبًا لها في

تأملاته النفسية، وخلواته الخيالية، بل يستحضرُ هذا الأمل واليقين والثقة، وينزلُ إلى الميدان، ميدانِ العمل والدعوة، والمصابرة والمرابطة، والجهاد والمجاهدة، فيقرنُ الأمل بالعمل، ليعمل على تحقيق هذه الآمال في واقع الأمة.

• **ثوابته في (حتمية الحلّ الإسلامي):**

(**الإسلام هو الحلُّ**) عبارةٌ جامعة، تدلُّ على تصوُّره الثابت للحلِّ المنشود.

إنه يرى مصائب الأمة، ويعيشُ أزماتها، ويتألمُ لمشكلاتها، ولكنَّه يؤمن بأن السبب في كلِّ ما تعانيه، هو بُعدُها عن منهج الله، وإقصاؤها الإسلام عن سدَّة الحكم والسلطان والتشريع والتوجيه، واستقدامُ غيره من المناهج والنظم والتشريعات الأرضية الجاهلية.

ويؤمنُ بأن الجناية الكبرى هي في الحلول المستوردة، من عالم الشرق والغرب، ولذلك يرفضُها ويحاربُها ويفنِّدُها، ويقفُ أمام أصحابها، ويدعو الأمة إلى أن لا تستجيب لها، ويقدِّمُ ما عنده من علاج ناجع، وحلٍّ حاسم، ويوجِدُ عند الناس قناعةً (**بحتمية الحلِّ الإسلامي**) ليكونوا من الدعاة إليه والمنادين به.

ويعتقدُ أنَّ **(الحلَّ الإسلامي)** يجب أن يتحقق على طريقة رسول الله ﷺ وليس على طريقة البشر **(التجار)** الذين يطبقون من الإسلام جزءًا ـ أو أجزاء ـ ويدَّعون أنهم بذلك يطبقون الإسلام.

إنَّ **(الحلَّ الإسلامي)** يتحققُ بصدق الالتزام بهذا الإسلام من قِبَلِ الجميع، وأن تخضع الأمةُ لهذا الإسلام في كلّ مرافق ومجالات وشؤون حياتها، وأنْ يتحوّلَ كلُّ فرد في الأمة ـ مهما كان موقعُه ومركزه ومسؤوليته ـ إلى ملتزمٍ عمليًا بالإسلام، محقِّقٍ للعبودية الصادقة لله، منفذٍ لشريعة الله، مطبّق لأحكام الله، داعيةٍ إلى دين الله، محاربٍ لأعداء الله!.

يؤمن بأنَّ **(الحلّ الإسلامي)** لا يتحقق إلّا بالالتزام العملي بقوله تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [النساء: ٦٥].

وقوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾ [الأحزاب: ٣٦].

يؤمن بأن الحلّ الإسلامي لا يتحقق إلّا بإخضاع كلّ شؤون الأمة لحكم الله، وصدورها عن دين الله، وعدم

مخالفتها في أية جزئية لنصوصه ومبادئه وتوجيهاته، سواءٌ في شؤون الحكم والسلطان، أو شؤونِ القضاءِ والتشريع، أو شؤون السياسة والاقتصاد والاجتماع والعلم والفنّ.

• ثباتُه على هذه (الثوابت):

إنَّ هذه الثوابت تحكمُ حياة المسلم الخاصة والعامة، فهو في حياتــه الخاصة وتصرُّفاته الشــخصية لا يخالف واحدًا منها، وهو في حياته العامة وصِلاته مع الآخرين لا يخرجُ عن واحد منها.

نظرتُه إلــى الحــلال والحــرام ثابتــة، غيــرُ متأثِّرة بالملابسات والظروف والأجواء والحاجات، الحلالُ هو ما أحلَّه الله، ويبقى حلالًا حتى قيام الساعة، والحرامُ هو ما حرَّمه الله، ويبقى حرامًا حتى قيام الســاعة، ولا يمكنُ أن (تتبدَّل) المواقع عند المســلم، حــلالُ الأمس حرام اليوم، وحرام اليوم حلال الغد!

هو ثابتٌ على هــذه الثوابت في: أخلاقه، وســلوكه، وصِلاته، وتصرفاته، وارتباطاته، وولائه، في كلامه ونطقه، في وظيفته وســعيه وكســبه، فــي كلِّ ما يقرأ ويســمعُ ويشاهد، في قناعاته السياسية والاقتصادية والاجتماعية..

إنَّــه لا يتأثـرُ فـي أيِّ أمـرٍ مـن الأمـور بالظروفِ والملابساتِ الأرضية، ولا يســمح لها أن تؤثِّر في ثباته، أو تزحزحه عن ثوابته؛ ولذلك تجده لا تُبطره نعمة، ولا تُطغيه فتنة، ولا يخيفُهُ تهديد، ولا يُغيِّره وعيد.

إنَّه لا يُغيِّر (ثوابته) كما يغيِّر ملابســه، ولا يُبدِّلها كما يبدِّلُ أزياءه.

إنَّــه لا يعيشُ (فصامًــا) نكدًا، بين القناعــات النظرية والممارسة العملية.

إنَّــه لا يخضعُ في هذه الثوابت لضغــوطِ (الواقع) ولا يتزحزحُ عنها، أو يتشــكَّكُ فيها، أو يتخلَّى عنها، باســم (الواقعية) والكياســة والعقلانية، وبُعْد النظر وسعةِ الأفق، وعدمِ التعصب والتشنج، والانفتاح والوسطية، وغير ذلك.

إنه لا تُزحزحُهُ شــدةُ الضغوط، ولا كثرةُ المساومات، ولا ضخامةُ التحديــات، ولا عنفُ المواجهــة، ولا كبرُ التضحيات، ولا ارتفاعُ الثمن!.

إنَّه أثبتُ على (ثوابته) من الجبال الراسخةِ الثابتة، قد تزولُ الجبالُ ولا يزول، يدفعُ روحَــه وحياتَه ثمنًا لدينه، ووفاءً لثوابته.

إنَّه ثابتٌ فــي الميدان، ثابتٌ فــي المعركة، ثابتٌ في المواجهة، ثابتٌ تحــت الراية القرآنيــة، ثابتٌ في حمل اللواء، ثابــتٌ في (خنــدق) الجهاد، ثابــتٌ في (**الصف الأول**)، ثابتٌ في (**الثَّغرة**) المتقدمة من ثغور الإسلام!.

إنَّه ثابتٌ علــى ثوابته، ثابتٌ فــي مواقعه، ثابتٌ حتى تخرج روحُه، ويلاقي ربَّه.

وعندها ـ فقط ـ يصدُقُ فيــه قولُه تعالى: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٢٣].

* * *





نماذج للثابتين على ثوابتهم

نقدِّم فيما يلي نماذجَ للثابتين علــى ثوابتهم، ليتعرَّفَ الثابتون على مَنْ سبقوهم من الثابتين، وليعرفوا أنَّ الثبات علــى الثوابت ليس أمــرًا مســتحيلًا - رغم مــا فيه مِنْ مصاعبَ ومشقَّاتٍ وتضحيات - وليقتدوا بأولئك الأسلاف العظام، فيسيروا على طريقهم الثابت بخطوات ثابتة.

• ثباتُ الأنبياء:

الأنبياءُ الكرام - عليهم الصلاة والســلام - هم القُدوةُ الأولى لمن بَعْدهم في ثباتهــم، فكلُّ حياتهم ثباتٌ على رســالاتهم، وكلُّ حياتهم مع أقوامهم المعادين الكافرين ثباتٌ علــى ثوابتهم، وقــد وصلوا في ثباتهــم إلى قمم سامقة، ودرجاتٍ عظيمة، لم يصلها أتباعُهم مِن بعدهم!.

تقرأ في القرآن عــن **ثبات نبيِّ الله نــوح** عليه السلام وتحدِّيه لقومه، واستعلائه بإيمانه، وتوكُّلِه على ربه، قولَ الله تعالى:

﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ نُوحٍ إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيۡكُم مَّقَامِي وَتَذۡكِيرِي بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡتُ فَأَجۡمِعُوٓاْ أَمۡرَكُمۡ وَشُرَكَآءَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُنۡ أَمۡرُكُمۡ عَلَيۡكُمۡ غُمَّةٗ ثُمَّ ٱقۡضُوٓاْ إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ﴾ [يونس: ٧١].

وتقرأ في القرآن عن ثبات نبيِّ الله هودٍ عليه السلام على ثوابته، قوله تعالى: ﴿إِنِّيٓ أُشۡهِدُ ٱللَّهَ وَٱشۡهَدُوٓاْ أَنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ۞ مِن دُونِهِۦۖ فَكِيدُونِي جَمِيعٗا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ۞ إِنِّي تَوَكَّلۡتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [هود: ٥٤ ـ ٥٦].

وتقرأ في القرآن عن ثبات نبيِّ الله إبراهيم عليه السلام مع الذين آمنوا معه، ومفاصلتهم لقومهم الكفار، وبراءتهم منهم: ﴿قَدۡ كَانَتۡ لَكُمۡ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذۡ قَالُواْ لِقَوۡمِهِمۡ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمۡ وَمِمَّا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرۡنَا بِكُمۡ وَبَدَا بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةُ وَٱلۡبَغۡضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحۡدَهُۥٓ﴾ [الممتحنة: ٤].

وتقرأ في القرآن عن مواجهة موسى عليه السلام لفرعون، وثباته أمامه؛ وذلك في مثل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَىٰ تِسۡعَ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖۖ فَسۡـَٔلۡ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِذۡ جَآءَهُمۡ فَقَالَ لَهُۥ فِرۡعَوۡنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسۡحُورٗا ۞ قَالَ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰفِرۡعَوۡنُ مَثۡبُورٗا ۞ فَأَرَادَ أَن يَسۡتَفِزَّهُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ فَأَغۡرَقۡنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ جَمِيعٗا﴾ [الإسراء: ١٠١ ـ ١٠٣].

وأما **إمامُ الثابتين وقدوتُهم محمدٌ** ﷺ الذي كانتْ كلُّ حياته الكريمة، وسيرته الشريفة ثباتًا؛ فنكتفي فيها بهذا المثالِ القرآني، عن ثباته أمامَ الكفار، وعن تثبيت الله له على ثوابته: ﴿وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ ۖ وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ۝ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ۝ إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ۝ وَإِن كَادُواْ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا ۖ وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ۝ سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا ۖ وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٣ ـ ٧٧].

• ثبات أصحاب الأخدود:

أتباعُ الأنبياء من السابقين، اقتدوا بأنبيائِهم في ثباتهم على الحق الذي هم عليه، وتحمُّلهم كلَّ ما يصيبهم نتيجةً لهذا الثبات، ولو كان في هذا إزهاقُ أرواحهم، ومغادرتُهم هذه الدنيا شهداء.

نكتفي من أولئك السابقين بنموذج **(أصحاب الأخدود)**، وقصتهم معروفةٌ لكل مسلم ثابت[١].

---

(١) اقرأ ـ إن شئت ـ كلامنا عن دروس قصتهم في كتابنا: مع قصص السابقين في القرآن.

ونلتقطُ من قصتهم المشهد الأخير، عندما استشهد الغلامُ الداعية أمام الجماهير المحتشدة، وكان استشهاده سببًا في إيمان تلك الجماهير، التي أُعجبت بثباته على ثوابته، فدخلت في دينه، وهتفتْ: «آمنَّا برب الغلام». ثم إنَّ (الملك الكافر) هدَّدهم وعذَّبهم، فلم ينلْ من ثباتهم، ولم يجد إلّا الأخاديد يملؤها نارًا، ويُلقيهم فيها، فيسقطون شهداء ثابتين، والكلُّ يوصي أخاه أو قريبه بالثبات على الحق ولو أدى الثباتُ إلى الموت، حتى الغلامُ الرضيعُ ينطقُه الله فيوصي أمَّه بالثبات على الحق!.

ونسجلُ هذه اللقطة الأخيرة العظيمة من حديثِ رسول الله ﷺ:

روى الإمام مسلم في صحيحه: عن **صهيب الرومي** - في نهاية حديث طويل - عن رسول الله ﷺ: أنَّه قال: «**فقالَ الناس: آمنَّا بربِّ الغلام.. آمنَّا بربِّ الغلام.. آمنَّا بربِّ الغلام.**

فأُتي الملكُ فقيل له: أرأيتَ ما كنتَ تحذَر؟ قد - والله - نزلَ بك حذرُك؛ قد آمن الناس.

فأمر بالأخدود في أفواه السكك فُخدَّتْ، وأضْرمَ النيرانَ.

وقال: مَنْ لَمْ يرجعْ عن دينه، فأحموهُ بها. أو قيل له: اقتحم. ففعلوا. حتى جاءت امرأة، ومعها صبيٌّ لها، فتقاعست أن تقع فيها، فقال لها الغلام: يا أُمَّه! اصبري؛ فإنك على الحق!»[١].

وما أجمل تعقيب الإمام الصابر الممتحن الثابتِ الشهيد سيد قطب على قصة أصحاب الأخدود، وهو من آخر ما كتبه وأثبته في فصل «هذا هو الطريق» من كتابه الرائد «معالم في الطريق»، وما أروع هذه العبارة التي علَّق فيها على ثباتِ أصحاب الأخدود: «لقد كان في استطاعة المؤمنين أن ينجوا بحياتهم، في مقابل الهزيمة لإيمانهم. ولكن: كم كانوا يخسرون هم أنفسهم؟ وكم كانت البشرية كلها ستخسر؟ كم كانوا يخسرون، وهم يقتلون هذا المعنى الكبير: معنى زهادة الحياة بلا عقيدة، وبشاعتها بلا حرية، وانحطاطها حين يسيطرُ الطغاةُ على الأرواح، بعد سيطرتهم على الأجساد؟

إنه معنى كريم جدًّا، ومعنى كبير جدًا، هذا الذي ربحوه وهم بعدُ في الأرض، وهم يجدون مَسَّ النار،

(١) صحيح مسلم، كتاب الزهد والرقائق رقم (٥٣)، باب قصة أصحاب الأخدود رقم (١٧)، حديث رقم (٣٠٠٥).

فتحترقُ أجسادُهم الفانية، وينتصرُ هذا المعنى الكريم الذي تزكيه النار!»[١].

ألست معي - أخي الثابت - في أنَّ سيد قطب كان يقتدي بأصحاب الأخدود في مماته، وكأنه بهذه الكلمات يتوقعُ نهايته، التي شابهت نهاية أصحاب الأخدود.

• ثبات عبد الله بن حذافة أمام قيصر الروم:

ضرب صحابةُ رسول الله ﷺ أمثلةً عاليةً عظيمةً في الثبات على الثوابت، ودَعوا مَنْ بَعدهم من المسلمين للاقتداءِ بهم في ثباتهم.

نكتفي من مواقفهم بهذا النموذج العظيم الذي وقفه الصحابيُّ الجليل عبد الله بن حُذافة السَّهمي أمام قيصر الروم.

كان عبدُ الله بنُ حذافة من القادة المسلمين الذين اشتركوا في فتح بلاد الشام، وقد أُوكلت إليه مهمةُ محاربةِ أهل (قيسارية) - المدينة الفلسطينية الحصينة، على شاطئ البحر المتوسط - ولكن قَدَّرَ الله أن يفشل عبد الله بن حذافة في إحدى المعارك، وأن يقعَ أسيرًا بيد الروم!.

(١) معالم في الطريق، ص ٢٣٥ - ٢٣٦.

ووجَدَهــا (**هرقــل**) فرصة مناســبةً لإيذاء المســلمين والانتقام منهم؛ أحضر (**عبــد الله بن حذافة**) أمامه، وأراد أن يفتنه عن دينه، ويُبعده عن إسلامه.

بدأ معه بسلاح الإغراء والمســاومة، فقدَّم له عروضًا مغرية:

قال له: ادخُل النصرانية، ولك ما تشاء من الأموال.

ورفض ابن حذافة هذا العرض!.

ثم قال له هرقل: ادخُل النصرانية، وأزوجُك ابنتي.

ورفض ابنُ حذافة العرض الثاني!.

ثم قال له هرقل: ادخُل النصرانية، وأُشركك في ملكي.

ورفض ابنُ حذافة العرض الثالث!.

وعرفَ هرقل أنه أمــام نوعٍ خاص من الرجال، فعرض عليه العــرض الرابع، قال له: ادخُــل النصرانية وأعطيك نصف ملكي، ونصف مالي.

فأجابهُ ابن حذافة إجابةً ثابتة قاطعة: لو أعطيتني جميعَ ما تملك، وجميعَ ما يملك العــرب، ما رجعتُ عن دين محمد ﷺ طرفةَ عينٍ!.

لجأ هرقل - بعد فشله في عروضه ومساوماته وإغراءاته - إلى السلاح والاضطهاد والتعذيب والتهديد والوعيد؛ فقال له: إذنْ أقتلك!.. وما درى هرقل أنَّ من ينتصرُ على سلاح الإغراء والمساومة، سينتصرُ على سلاح الاضطهاد والتعذيب، وأنَّ الذي يدوسُ على الدنيا بقدميه لن يبخل عن تقديمِ روحه فداءً لدينه.

أجابه ابنُ حذافة: أنتَ وذاك.

وضَعَ ابنَ حذافة في السجن، ومَنع عنه الطعام والشراب ثلاثة أيام، ثم قدَّم له الخمر ولحم الخنزير ليأكله! ولكنَّ ابن حذافة رفض أن يذوقه، واستمرَّ أيامًا دون طعام أو شراب، حتى أوشكَ أن يموت!.

فأخرجَهُ هرقل، وقال له: ما منعك أن تأكل من الخمر والخنزير، وأنت مضطرٌّ جائع؟.

فقال له: أمَا إنَّ الضرورة قد أحَلَّتْها لي، ولا حرمة عليَّ لو أكلتها، ولكني آثرتُ أن لا آكل، حتى لا أجعلك تشمت بالإسلام!.

ثم أمر هرقل به، فصلبوه وأوثقوه على الخشبة، وصار

الرماةُ يرمون السهام قريبًا من بدنه، وهو ثابت، وقيصرُ يعرضُ عليه التنصُّر، وهو يأبى!.

ثم أنزله، وأمر بوضع ماءٍ في قدر عظيمة، وإشعال النار تحتها، ولما صار ماءُ القدر يغلي، جيء بأسيرٍ مسلم، فأُلقي فيها فذاب لحمه في الماء، وتحوَّل إلى هيكل عظمي، ثم أُلقي فيها أسيرٌ مسلم ثانٍ، وابنُ حذافة ينظر.

ثم أمر هرقلُ بإلقاءِ ابن حذافة في الماء الذي يغلي، فلما أخذوه ليُلقوه بكى.

فقيل لهرقل: إنَّ ابن حذافة بكى.

فظنَّ هرقلُ أنَّ بكاء ابن حذافة من الموت، وأنه يدُلُّ على تراجعه عن موقفه، وتنازله عن ثوابته، وأنه سيستجيبُ له!.

فدعاهُ، وعرض عليه التنصُّر. فأبى!.

فقال له: إذن لماذا بكيت؟.

فأجابه جوابًا عجيبًا حقًّا، أعجزه، وأثبت له فشله معه، وهزيمته أمامه:

بكيتُ، لأني لا أملكُ إلّا نفسًا واحدة، أبذلها فداءً

لديني في سبيل الله، وتمنيتُ لو كان لي بعدد شعري أنفس، أبذُلُها فداءً لديني، وتموتُ كلُّها في سبيل الله!.

وأيقن هرقلُ بهزيمته أمام ابن حذافة، هزيمته وهو يملكُ المال والجاه والسلطان والقوة والدنيا، أمام رجلٍ مسلم أعزل، مجرد من كلّ هذه المظاهر.

فعرض عليه العرض الأخير الانهزاميَّ - حفظًا لماء وجهه -: يا ابن حذافة! هل لك أن تُقبِّل رأسي، وأُخلي عنك، وأُطلق سراحك؟.

قال ابنُ حذافة: نعم، على شرط أن تطلق معي سراح جميع الأسرى المسلمين في سجونكم - وكانوا أكثر من ثلاثمئة أسير -!.

وقَبَّل ابنُ حذافة رأس هرقل، وخرج بإخوانه إلى عمر ابن الخطاب في المدينة، وأخبره قصته مع هرقل!.

وتحرَّج بعضُ الصحابة من تقبيل ابن حذافة رأس هرقل، ولاموه عليه، ولم يلتفتوا إلى الثمن الكبير من الأسرى الذين أطلق سراحهم مقابل تلك القبلة.. ووافق عمرُ ابن حذافة على تصرُّفه، وقال لهم: حقٌّ على كلِّ مسلم أن يُقبِّل رأس ابن حذافة، وأنا أبدأ بذلك!.

وقام عمر إلى ابن حذافة، وقبَّل رأسه، وتبعه باقي الصحابة[١].

• ثبات أحمد بن حنبل في محنته:

وهذا نموذجٌ للثابتين على ثوابتهم، يمثِّلُ (الثبات) في التاريخ الإسلامي.

إنه ثباتُ الإمام الممتحن (**أحمد بن حنبل** رضي الله عنه) حيثُ ابتُلي زمنَ المأمون والمعتصم بفتنة (**خلق القرآن**)، وهي الفتنة التي أثارتها المعتزلة، وزعمت أنَّ القرآن مخلوق، فوقف لهم إمامُ أهل السُّنَّة في عصره أحمد بن حنبل، وقال: إن القرآن كلامُ الله، وكلامُ الله غيرُ مخلوق، فالقرآن غيرُ مخلوق، وهذا هو رأْيُ أهلِ السُّنَّة، الذي ثبتَ عليه الإمام.

وسُجن الإمامُ أحمد في أواخر عهد المأمون، وفي عهد المعتصم، وعُذِّب في سجنه عذابًا رهيبًا، وضُرب بالسياط، ومع ذلك ثبت ثبات الرجال!.

ونقدِّم لقطاتٍ سريعةً من محنة ذلك الإمام، يتجلَّى فيها ثباته على ثوابته:

---

(١) انظر قصة ابن حذافة في: سير أعلام النبلاء، للذهبي: ٢/ ١١ ـ ١٦.

لما سِـيْقَ إلى المأمون، مرَّ به - وهو في القيود - أحدُ المسـلمين وهو جابرُ بْـنُ عامر، وأوصـاهُ بالثبات على الحق، وقال له: «يا إمام! إنك وافدُ الناس، فلا تكن شُؤمًا عليهم، وإنكَ رأْسُ الناس اليوم، فإيّاكَ أن تجيبهم إلى ما يدعونك إليه، فيجيبوا، فتحمل أوزارهم يوم القيامة، وإن كنت تحبُّ الله فاصبر على ما أنـت فيه، فإنه ليس بينك وبين الجنـة إلّا أن تُقتل، وإنك إنْ لـم تُقتل تمت، وإن عشت عشت حميدًا»[1].

وقَبل أن يدخل على المعتصم، قال لهُ أحد المشفقين: «يا أحمد، إنها والله نفسك، إنه لا يقتُلك بالسيف، إنه قد آلى إنْ لـم تجبـه، أن يضربك ضربًا بعد ضـرب، وأنْ يلقيك في موضعٍ لا تُرى فيه شمسٌ ولا قمر»[2].

وأُدخـل أحمد علـى المعتصم عـدة مـرات، ودعاهُ المعتصم في كل مرة إلـى التراجع عن رأيه، والقولِ بما يقولون به، وهو ثابتٌ يأبى عليه أشدَّ الإباء.

ولما أوشـك أن ييئسَ منه، قال لـه: ويحك يا أحمد! أجبني حتى أطلق عنك يدي.

---

(١) أحمد بن حنبل، لعبد الغني الدقر، أعلام المسلمين رقم (١٧)، ص ١٧١.

(٢) المرجع السابق، ص ١٧٥.

وهو يردُّ عليه قائلًا: أعطوني شيئًا من كتاب الله، أو سُنَّةِ رسول الله ﷺ حتى أقول به.

فأمر المعتصمُ الزبانية والجلادين بأخذِ الإمام وسحبه وجلده..

وجيء بالعُقابين ـ وهما خشبتان يُشبَحُ الرجلُ بينهما ليُجلد ـ وشُدَّ الإمامُ على العقابين، وأحضروا السياط ليجلدوه، وجلس المعتصم أمامه على كرسي، وأمر الزبانية بجلد الإمام! فجعل الرجلُ يتقدَّمُ فيضربُه سوطين، ثم يتقدَّم غيره وهكذا، والمعتصمُ يخاطب كُلًّا منهم قائلًا: شُدَّ، قطع الله يدك.

ولما ضُرب الإمام تسعة عشر سوطًا، قام إليه المعتصم وقال له: يا أحمد! عَلامَ تقتلُ نفسك؟! إني والله عليك لشفيق.

وجعل أحدُ الزبانية ينخس أحمد بسيفه، ويقول له: أتريدُ أن تغلب هؤلاء كلَّهم؟!.

وقال له جلاد آخر: ويلك! الخليفةُ على رأسك قائم!.

وأفتى أحدُ الظالمين للمعتصم بقتل أحمد، وقال له: يا أمير المؤمنين! دَمُهُ في عنقي. اقتُلْهُ.

وقال أحد الحاضرين للمعتصم: يا أَمير المؤمنين، أنت صائم، وأنت في حرِّ الشمس قائم! وأحضروا له مظلَّة فوق رأسه.

فقال له المعتصم: يا أحمد! ويلَكَ! ما تقول؟.

فيجيبُ أحمد: أعطوني شيئًا من كتاب الله، أو سُنَّة رسوله ﷺ أقول به!.

فأمر المعتصم الجلاد بضرب أحمد، وقال له: تقدَّمْ وأَوْجِعْ، قطع الله يدك.

وصاروا يقولون لأحمد: ويلك مَنْ صنع مِنْ أصحابك في هذا الأمر ما تصنع؟!.

وقال المعتصم لأحمد: ويلك! أجبني إلى شيءٍ فيه أدنى فرج، حتى أُطلق عنك يدي!.

وأحمد لا يقول إلَّا كلمته المعهودة: أعطوني شيئًا من كتاب الله، أو سُنَّة رسوله ﷺ أقول به!.

واستمرَّ ضرْبُ الجلادين لأحمد بسياطهم، والمعتصمُ يقولُ لكل منهم: شدّ، قطع الله يدك!.

قال أحمد: فذهب عقلي، فأفقت بعد ذلك، وإذا القيودُ قد أُطلقت عني - وكان ذلك في اليوم الخامس والعشرين

من رمضان من سنة إحدى وعشــرين ومئتين ـ وقال لي رجل ممن حضر: لقــد أَمَرَنــا المعتصــم فكببناك على وجهك، وطرحناك على ظهرك، ودُسناك بأقدامنا.

وأتوهُ بسُــويق، وقالوا له: اشربْ وتقيأْ. فقال: أنا صائم لا أفطر!.

قال ميمونُ بن الأصبــغ: أُخرج أحمد بــن حنبل من الحبــس، بعد أن اجتمــع الناسُ على البــاب، وضجوا، فخاف المعتصم وأطلق سراحه.

ونظم أبو شــعيب الحرّانيُّ هذه الأبيــات الثلاثة في ثباتِ أحمد بن حنبل:

ضَرَبُوا ابْنَ حَنْبَلَ بالسِّياطِ بِظُلْمِهِمْ بَغْيًا فَثُبِّــتَ بالثَّبــاتِ الأَنْوَرِ
قالَ المُوَفَّقُ حينَ مُــدِّدَ بَينهُمْ مَدَّ الأَديمِ مَــعَ الصَّعيدِ القَرْقَرِ
إِنِّــي أَموتُ ولا أَبــوءُ بِفَجْرَةٍ تَصْلى بَوائِقُها مَحَلَّ المُفْتَري[1]

• **ثباتُ سيد قطب في محنته:**

ونختمُ النماذج الخمســة المختارة لثبات الثابتين بهذا النموذج، الذي يمثِّلُ الثابتين في العصر الحديث.

(١) انظر محنة أحمد وثباته فيها في كتاب: أحمد بن حنبل، للدقر، ص ١٧٠ ـ ١٩٠، وانظر مراجعه هناك.

إنه نموذجُ الإمام الصابر الممتحن الثابت الشهيد سيد قطب، والكل يعرف طرفًا من محنة (سيد) المعاصرة مع الطغيان والطغاة؛ حيث آذوه بأصناف الإيذاء والعذاب فصبر وثبت، وأغروه بصنوف الإغراء والمساومات ليتنازل عن ثوابته، فصبر وثبت.

أقدِّمُ هذه اللقطة من تعذيبهم لسيد، كما رواها المجاهدُ المرحومُ جابر رزق في كتابه «مذابحُ الإخوان في سجون ناصر»:

«كان سيدُ في محنة (١٩٦٥م) قد بلغ الستين من عمره.. وهو مُصابٌ بالذبحة الصدرية.. بالإضافة إلى مرض الكلى.. وأمراض المعدة..

ولم تشفع له سِنُّهُ، ولم يشفع له مرضه.. ولكنهم استغلوا هذه الأمراض جميعًا في نوع التعذيب الذي تعرَّض له.

لقد ربطوهُ في كرسي لمدة أربعة أيام، وحرموه فيها من الطعام والشراب، وحرموه حتى من الماء.. وكانوا يسكبون أمامه الماء.. ومعروفٌ أنَّ مريض الكلى يحتاجُ إلى كمياتٍ كبيرةٍ من الماء.. وهم يفعلون ذلك به مبالغةً في تعذيبه، ولقد أوشك أن يفقد بصره من شدّة التعذيب»[1].

---

(١) مذابح الإخوان في سجون ناصر، لجابر رزق، ص١٣٣.



أمّا المساوماتُ والإغراءاتُ فقد استمرت معه حتى في ليلة التنفيذ.

وأَكتفي ببعض ما سووِمَ عليه ليلة إعدامه:

تروي المجاهدةُ (**زينب الغزالي**) قولها: إنَّ سَيِّئ الذكرِ حمزة البسيوني ـ مدير السجن ـ جاءَ إلى شقيقة سيد، المجاهدة (**حميدة**) في السجن، لتضغط على شقيقها، ليعتذر عما فعل، لينجو من الإعدام.

وقال لها: إن شقيقك خسارةٌ لمصر كلِّها، وليس لكِ وحدك، إنني غيرُ متصور أن نفقد هذا الشخص بعد ساعات، إننا نريدُ أن ننقذه من الإعدام بأيِّ شكل، وبأية وسيلة، إنَّ بضع كلماتٍ يقولها ستخلِّصه من حكم الإعدام، ولا يستطيعُ أحدٌ أن يؤثِّر عليه إلَّا أنتِ..

وقابلت حميدةُ شقيقَها المقابلة الأخيرة، وعرضت عليه ما سمعته من البسيوني، فقال لها: واللهِ لو كان اتصالنا بدولة أجنبية ضدَّ البلد صحيحًا لقلتُه، ولما استطاعت قوةٌ من الأرض أن تمنعني من قوله، ولكنه لم يحدث، وأنا لن أقول كذبًا أبدًا.

ثم قال لها: وأنتِ هل ترضين أن أقوله وأعتذر؟ فقالت له الصابرة المحتسبة: لا. لا تقُلْ.

فقال لها: إنهم لا يستطيعون لأنفسهم نفعًا ولا ضرًّا، وإن الأعمار بيد الله، وهم لا يستطيعون التحكم في حياتي، واللهُ من ورائهم محيط..

وقد أطلق الثابت المجاهد عبارات عجيبة، أصبحت شعارًا لكل داعية ثابت، منها قوله: «لماذا أسترحم؟! إن سُجِنْتُ بحقٍّ، فأنا أرضى حكم الحقِّ، وإن سُجِنْتُ بباطل فأنا أكبرُ من أن أسترحم الباطل!».

ومنها قولُه: «إنَّ أصبع السبابة الذي يشهدُ لله بالوحدانية في الصلاة، ليرفض أن يكتب حرفًا يقرُّ به حكم طاغية».

ومنها قوله عندما طلب منه الاعتذار عن العمل لله والدعوة إليه: «لن أعتذر عن العمل مع الله!»[١].

ويروي المجاهدُ (ممدوح الديري) الذي كان مع سيد قطب في القفص، قبيل صدور حكم الإعدام عليه، أنَّ أحد الضباط اقترب من سيد قطب في القفص، وسأله عن معنى كلمة (شهيد) فأجابه سيد قطب قائلًا: «شهيد يعني أنه شهد أن شريعة الله أغْلى عليه من حياته!».

---

(١) انظر هذه العبارات وغيرها في كتابنا: سيد قطب من الميلاد إلى الاستشهاد، طبعة دار القلم.

ولما حُكم عليه بالإعدام قال: الحمد لله[١].

وقبيل تنفيذ حكم الإعدام به، مرَّ به الأستاذ (**أحمد رائف**) وسنحت فرصةٌ للتحدث معه، فسأله (**رائف**): ماذا تنتظر؟.

فأجابه سيد قطب بابتسامةٍ واثقة نابعةٍ من صدر هادئ مطمئن: أنتظرُ الوُفودَ على ربي[٢].

وقبيل تنفيذِ حكم الإعدام به، بعث رسالتين إلى صديقه الأستاذِ الأديب (**أحمد عبد الغفور عطار**) في مكة، وَوَصلتا إليه، ونشرهُما في مجلته التي كان يصدرها في ذلك الوقت (**كلمة الحق**) ـ العدد الثاني، مايو (١٩٦٧م) ـ بالزنكوغراف، بخطِّ الأستاذ سيد قطب.

والرسالتان من آخر ما كتب الشهيد، وتعتبران وثيقتين هامتين في تصوير قوة إيمان سيد، ودرجة ثباته على ثوابته!.

قال في الرسالة الأولى: «أمَّا أنا، فأجدني خيرًا من أيِّ وقتٍ مضى، في عقيدتي وإيماني، وفي وضوح هذه العقيدة وهذا الإيمان في نفسي، وفي وضوح إدراكي

(١) مذابح الإخوان في سجون ناصر، ص١٣٧.
(٢) البوابة السوداء، لأحمد رائف، ص٢٢٣.

وتصوري لهذا الأمر ومقتضياته، ووضوح الهدف والوسيلة والطريق والغايــة.. وكلّ هذا خيرٌ جزيلٌ جميل، يرجحُ كلَّ ما أديتُهُ ثمنًا له من راحتي وصحتي.. والحمد لله..».

وقال للعطــار في الثانية: «أهمُّ من أنْ أشــكرك ـ فيما أعتقد ـ أن أطمئنك عليَّ وأنا فــي وضعي الذي تعرفُه.. لقد وجدتُ الله، كما لم أجــدْهُ من قبلُ قط! ولقد عرفتُ منهجه وطريقه، كما لم أعرفه من قبلُ قط! ولقد اطمأننتُ إلى رعايته ووثقتُ بعهــده للمؤمنين، كما لم أطمئن من قبلُ قط! وأنا بعد ذلك على ما عهدْتَني، مرفوعُ الرأس لا أحنيه إلّا لله، والله يفعل ما يشــاء، والله غالبٌ على أمره، ولكن أكثر الناس لا يعلمون!»[١].

ولما سيق سيد قطب لتنفيذ حكم الإعدام به، ابتسم ـ وهو يهمُّ بركوب الســيارة ـ ابتســامةً عريضة ساحرة، ملأت وجهه، وأضاءت أساريره، والتقطت وسائل الإعلام هذه الابتســامة، وأَودعَ سيدُ ابتســامته كلَّ ما يريد قوله، للدعاة الثابتين من بعده، المقتدين به في الثبات، وفعلت

(١) انظر قصة الرسالتين وصورتهما بالزنكوغراف في (كلمة الحق)، العدد الثاني، مايو (١٩٦٧م)، ص١٣ ـ ١٤؛ وانظر ذلك أيضًا في كتابنا: سيد قطب من الميلاد إلى الاستشهاد، طبعة دار القلم.

الابتسامةُ فعلها الساحر في قلوب الدعاة، وتركت آثارها بارزةً في حياتهم الدعوية الثابتة.

وتم تنفيذُ حكم الإعدام بسيد ـ وأخويه: عبد الفتاح إسماعيل ومحمد يوسف هواش ـ قبيل فجر يوم الإثنين (١٣) جمادى الأولى (١٣٦٦هـ) الموافق (١٩٦٦/٨/٢٩م)!.

وقال فيه القائل:

يا شهيدًا رفَعَ اللهُ بهِ جَبهةَ الحقِّ على طولِ المَدى
سَوف تَبقى في الحَنايا عَلَمًا هاديًا للرَّكْبِ رَمْزًا للفِدا
ما نَسِينا أنْتَ قَدْ عَلَّمْتَنا بَسْمةَ المؤمنِ في وَجْهِ الرَّدَى

وصدق فيه قول الله تعالى: ﴿مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبۡدِيلٗا ۞ لِّيَجۡزِيَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدۡقِهِمۡ﴾ [الأحزاب: ٢٣ ـ ٢٤].

- **و... شاعر المحنة يحدو للثابتين:**

ونقف أخيرًا مع شاعر المحنة الدكتور يوسف القرضاوي، لنوردَ أبياتًا مختارة من ملحمته الطويلة، التي نظمها وهو سجينٌ بين جدران (**السجن الحربي**) وضمَّنها الكثير من الحقائق والمعاني في الدلالات. وهي مشهورةٌ باسم «النونية».

قال فيها:

ثارَ القريضُ بخاطري فَدَعُوني أُفضي لكُم بفجائعي وَشُجوني
فالشِّعرُ دَمعي حين يعصِرُني الأَذى وَالشِّعر عُودي يَوم عزفِ لحُوني

* * *

واليومَ عاوَدني الملاكُ فهزَّني طَرَبًا إلى الإنشادِ والتلحينِ
أُلْهِمْتُهَا عصماءَ تنبعُ من دَمي وَيمدُّها قلبي وَماءُ عيوني
«نونيةٌ» والنونُ تحلُو في فَمِي أبدًا، فكدتُ يُقالُ لي «ذو النونِ»

* * *

قُل للعواذِلِ إنْ رَمَيْتُم مِصْرَنا بِتَخالُفِ التصنيعِ والتعدينِ
مِصرُ الحديثةُ قدْ عَلَتْ وتقدَّمَتْ في صَنعةِ التَّعذيبِ والتقرينِ
وَتفنَّنَتْ - كَيلا يَمَلَّ مُعَذَّبٌ - في العَرْضِ والإخراجِ والتلوينِ
أَسَمِعْتَ بالإنسانِ يُنْفَخُ بطْنُه حتى يُرى في هيئة «البالونِ»؟!
أَسَمِعْتَ بالإنسانِ يُضغَطُ رأسُه بالطوقِ، حتى ينتهي لجنونِ؟!
أَسَمِعْتَ بالإنسانِ يُشْعَلُ جسمُهُ نارًا، وقد صبغوهُ «بالفزلينِ»!!
أَسَمِعْتَ ما يَلقى البَريءُ ويصطلي حتى يقولَ: أنا المُسيءُ خُذوني
أَسَمِعْتَ بالآهاتِ تخترقُ الدُّجى ربَّاهُ عَدْلُك إنَّهم قتلوني؟!
إنْ كنتَ لم تسمعْ فسَلْ عَمَّا جرى مِثْلي، ولا يُنبيكَ مِثْلُ سَجينِ!

* * *

أَعَرَفْتَ ما قاسيتُ في زنزانةٍ　　كانتْ هي القبرَ الذي يُؤْويني؟!
لا بلْ ظَلَمْتُ القَبرَ فهو لذِي التُّقى　　رَوضٌ وَتلك جَحيمُ أَهلِ الدِّين!
هي في الشِّتاءِ وَبردِهِ «ثَلَّاجَةٌ»　　هي في هَجير الصيفِ مثلُ أَتونِ!
نُلقى ثمانيةً بها أو سبعةً　　مُتَداخِلين كعُلْبَةِ «السَّرْدينِ»!
هي مُنتدانا، وهي غُرفةُ نومِنا　　وهي «البوفيه» وحُجرةُ الصالونِ
هِي مسجدٌ لصلاتِنا ودُعائنا　　في الكونِ ما أَرجوهُ أو يرجوني

* * *

يا عُصبة «الباستيلِ» دونكمو فَلنْ　　آسى عَلى الإِغلاقِ والتأمينِ
سُدُّوا عَليَّ البابَ كيْ أَخْلو إلى　　كُتْبي، فلي في الكُتْبِ خيرُ خَدينِ
وخُذُوا الكِتابَ فإنَّ أُنسيَ مِصْحَفٌ　　أَتْلوهُ بالترتيلِ والتلحينِ
وخُذوا المَصاحِفَ إِنَّ بين جَوانِحي　　قَلبًا بنورِ يَقينِه يَهْديني
اللهُ أَسعدَني بظِلِّ عَقيدَتي　　أَفيستطيعُ الخلْقُ أَنْ يُشقوني؟!

* * *

يا أَيُّها المَغْرورُ في سلطانِهِ　　أَمِنَ النَّضارِ خُلِقْتَ أَمْ مِن طينِ؟
يا مَنْ أَسَأْتَ لِكلِّ مَن قد أَحْسَنُوا　　لَك دائِنينَ، فَكنْتَ شَرَّ مَدينِ
يا ذئبَ غَدْرٍ نَصَّبوهُ راعيًا　　والذئْبُ لم يَكُ ساعةً بأمينِ
يا مَنْ زَرَعْتَ الشَّرَّ لن تَجْنِي سِوى　　شَرٍّ وحِقْدٍ في الصُّدورِ دَفينِ
سَيزول حُكْمك يا ظَلومُ كما انْقَضتْ　　دُوَلٌ أُولاتُ عَساكِرٍ وحُصونِ
ستهبُّ عاصِفَةٌ تدُكُّ بناءَهُ　　دَكًّا.. وركنُ الظلم غيرُ ركينِ

* * *

أَظننــتَ دَعوتَنا تموتُ بضربةٍ   خابَتْ ظُنونُك فهي شَرُّ ظُنونِ
بَلِيَتْ سياطُك والعزائمُ لم تَزَلْ   مِنَّا كحــدِّ الصارمِ المســنونِ
إنَّا لعَمْــري إن صَمَتْنــا بُرْهَةً   فالنار في البركانِ ذاتُ كُمونِ
تالله ما الدَّعَوَاتُ يهزمُها الأَذى   يومًا وفي التاريــخِ برٌّ يَميني
ضَعْ في يَدَيَّ القيدَ، أَلْهِبْ أَضْلُعي   بالسَّوْطِ، ضعْ عُنُقي على السِّكِّينِ
لنْ تَســتطيعَ بكلِّ مــا أُوتيتَهُ   إِطْفــاءَ إيماني ونــورَ يَقيني
فالنُّورُ في قَلبي، وقَلْبي في يَدَيْ   رَبِّي.. ورَبِّــي ناصِري ومُعيني
سأَعيشُ مُعْتَصِمًا بحَبْلِ عَقيدَتي   وأَموتُ مُبتسمًا ليَحْيا ديني[1]

* * *

(١) انظر القصيدة في: ديوان الدكتور يوسف القرضاوي: لفحات ونفحات، طبع دار الضياء ـ عمّان.

كتب صدرت للمؤلف

مرتبة وفق صدورها



١ ـ سيد قطب الشهيد الحي.
٢ ـ نظرية التصوير الفني عند سيد قطب.
٣ ـ أمريكا من الداخل بمنظار سيد قطب.
٤ ـ المدخل إلى ظلال القرآن.
٥ ـ المنهج الحركي في ظلال القرآن.
٦ ـ في ظلال القرآن في الميزان.
٧ ـ مفاتيح للتعامل مع القرآن.
٨ ـ في ظلال الإيمان.
٩ ـ الشخصية اليهودية من خلال القرآن.
١٠ ـ تصويبات في فهم بعض الآيات.
١١ ـ مع قصص السابقين في القرآن.
١٢ ـ البيان في إعجاز القرآن.
١٣ ـ ثوابت للمسلم المعاصر.
١٤ ـ إسرائيليات معاصرة.
١٥ ـ سيد قطب من الميلاد إلى الإستشهاد.
١٦ ـ لطائف قرآنية.
١٧ ـ هذا القرآن.
١٨ ـ حقائق قرآنية حول القضية الفلسطينية.
١٩ ـ الخلفاء الراشدون بين الاستخلاف والاستشهاد.
٢٠ ـ التفسير والتأويل في القرآن.
٢١ ـ الأتباع والمتبوعون في القرآن.
٢٢ ـ التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق.
٢٣ ـ الخطة البراقة لذي النفس التواقة.
٢٤ ـ تفسير الطبري تقريب وتهذيب: (١ ـ ٧).

٢٥ ـ الرسول المبلِّغ ﷺ.
٢٦ ـ القصص القرآني: عرض وقائع وتحليل أحداث: (١ ـ ٤).
٢٧ ـ تهذيب فضائل الجهاد، لابن النحاس.
٢٨ ـ تعريف الدارسين بمناهج المفسرين.
٢٩ ـ القبسات السُّنِّية من شرح العقيدة الطحاوية.
٣٠ ـ سيد قطب الأديب الناقد والداعية المجاهد.
٣١ ـ صور من جهاد الصحابة.
٣٢ ـ إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني.
٣٣ ـ مواقف الأنبياء في القرآن: تحليل وتوجيه.
٣٤ ـ سعد بن أبي وقاص: المجاهد الفاتح.
٣٥ ـ الحرب الأمريكية بمنظار سيد قطب.
٣٦ ـ سيرة آدم عليه السلام: دراسة تحليلية.
٣٧ ـ بين الإسلام الرباني والإسلام الأمريكاني.
٣٨ ـ عتاب الرسول في القرآن: تحليل وتوجيه.
٣٩ ـ وعود القرآن بالتمكين للإسلام.
٤٠ ـ حديث القرآن عن التوراة.
٤١ ـ جذور الإرهاب اليهودي في أسفار العهد القديم.
٤٢ ـ سفر التكوين في ميزان القرآن.
٤٣ ـ الانتصار للقرآن أمام متنبئ الأمريكان.
٤٤ ـ الأعلام الأعجمية في القرآن: تحليل وتوجيه.
٤٥ ـ الكليني وتأويلاته الباطنية للآيات القرآنية.
٤٦ ـ القرآن ونقض مطاعن الرهبان.
٤٧ ـ وقفات مع هذه الآيات.
٤٨ ـ تفسير ابن كثير تهذيب وترتيب: ١ ـ ٦.
٤٩ ـ بصائر.
٥٠ ـ الوجيز في الثقافة الإسلامية: بالاشتراك.
٥١ ـ التفسير المنهجي: بالاشتراك.

قيد الإعداد:

ـ موسوعة القرآن اللغوية الاشتقاقية مفسرة.

المحتوى

• مقدمة ٥

١ ـ الثوابت في عصرنا المتغيِّر ٩

• عصرُنا عصرُ التغيُّر والتطوُّر ٩
• صورة فنية ساخرة يرسمها سيد قطب للبشرية المنفلتة ١٠
• سرُّ انحرافِهم وضياعِهم: اتباعُ الهوى ١٣
• محاربةُ (الثوابت) في بلاد المسلمين ١٤
• أسباب الاستجابة لتلك الدعوات ١٦
• مسلمو اليوم أسوأُ نموذجٍ عبر التاريخ ١٩
• لا يأس، فالمسلمون قادمون ٢١

٢ ـ الثبات والحركة في التصوُّر الإسلامي ٢٣

• في الحقائق الثابتة في التصور الإسلامي ٢٥
• أبرز مظهر للثبات في التصور الإسلامي ٢٧
• في الثبات نجاة المسلمين ٢٩

٣ ـ الثبات على الثوابت ٣١

• أزمتُنا أزمةُ ثوابت ٣١



• من مزايا هذه الثوابت ٣٤
• مساومات على الثوابت ٣٨
• الثبات على الثوابت وحصول الأذى والمصاعب ٤١

٤ ـ أساس هذه الثوابت ٤٥
• لا للنظرة العبثيَّة للحياة ٤٥
• ولا للنظرة التجارية المصلحية للحياة ٤٦
• تهديفُ المسلم لحياته ٤٨
• هدفُ المسلم ووسيلته ٥٠
• خطَّة المسلم والنفس التواقة ٥٢

٥ ـ خطوط ثابتة في شخصية المسلم ٥٥
• أولًا: هو عابد ٥٥
• ثانيًا: هو مجاهد ٥٦
• ثالثًا: هو زاهد ٥٩
• رابعًا: هو صابر ٦١
• خامسًا: هو صادق ٦٥
• سادسًا: وخطوط أخرى ٦٦

٦ ـ ميادين لهذه الثوابت ٦٩
• ثوابته في معالم شخصيته ٦٩
• ثوابته التصوُّرية والفكرية ٧٠
• ثوابته الثقافية الإسلامية ٧١

• ثوابته الدعوية ٧١
• ثوابته في الوزن والنظر والتقويم ٧٢
• ثوابته في شؤون الحكم والتشريع ٧٣
• ثوابته في مواقفه السياسية ٧٣
• ثوابته في نظرته إلى أعدائه ٧٤
• ثوابته في المسألة الفلسطينية ٧٤
• ثوابته في النظر إلى المستقبل ٧٥
• ثوابته في (حتمية الحلّ الإسلامي) ٧٧
• ثباتُه على هذه (الثوابت) ٧٩

٧ ـ نماذج للثابتين على ثوابتهم ٨٣
• ثباتُ الأنبياء ٨٣
• ثبات أصحاب الأخدود ٨٥
• ثبات عبد الله بن حذافة أمام قيصر الروم ٨٨
• ثبات أحمد بن حنبل في محنته ٩٣
• ثباتُ سيد قطب في محنته ٩٧
• و... شاعر المحنة يحدو للثابتين ١٠٣

• كتب صدرت للمؤلف ١٠٧

• المحتوى ١٠٩

***

